العدد السابع

بريق الماس



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ العجوز ..

أضيئت المصابيح الكاشفة القوية لتبدِّد ظلام الليل ، وتضىء ممر الهبوط فى مطار القاهرة الدولى ، وظهرت قوات الجيش المصرى حول طائرة ركاب ضخمة من طراز (البوينج) قبعت ساكنة على أرض المطار ، وقد انتشر حولها جوّ من التوتُّر والقلق ..

وفى شرفة المطار وقف رجل هادئ ، يعقد كفَّيه خلف ظهره ، ويراقب الموقف ، والتفت إليه الرجل الطويل الواقف بجواره ، وسأله بقلق :

ـ كادت المهلة تنتهى يا سيِّدى .. هل قررت الحكومة الاستسلام لمطالب المختطفين ؟

هزَّ الرجل الهادئ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا محال يا سيِّد (منصور) .. لو أننا

استسلمنا لكل مختطف يحضر بطائرة إلى هنا ، لتحوَّل الأمر إلى الفوضى الكاملة .

ابتلع الرجل الطويل ريقه ، وقال :

ـ ولكن الطائرة تحمل ثلاثة من أنبغ علماء مصر ، ولقد هدَّد المختطفون بقتلهم ، ما لم يتم الإفراج عن زملائهم فى أربع وعشرين ساعة فقط ، ولم يعد باقيًا أمامنا سوى ساعة واحدة .. ولم تتم محاولة واحدة حتى لإنقاذ ركاب الطائرة .

ابتسم الرجل الهادئ ، وقال :

ـ اطمئن يا سيِّد (منصور) ولا تتعجَّل .. سيتم كل شىء كما نأمل بإذن الله .

هزَّ (منصور) رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى كيف يا سيِّدى ؟ إن هؤلاء الأوغاد يرفضون صعود أكثر من رجل واحد إلى الطائرة ، مهما كانت الظروف ، وهم يفتشون هذا الرجل بدقَّة، حتى أنه لا يستطيع إخفاء إبرة دون أن يكشفوها .. أخبرنى

بربِّك ، كيف يمكن القبض عليهم مع كل هذه الاحتياطات ؟

عاد الرجل الهادئ يبتسم ، ويقول :

ـ كل شىء ممكن يا سيِّد (منصور) .. فأنت كرجل مدنى تجهل الكثير عن إمكانات المخابرات المصرية .. وكل ما أستطيع قوله لك الآن هو أن تطمئن .

عضَّ (منصور) على شفتيه بيأس ، ونقَل بصره إلى الطائرة ، وأخذ يتابع الرجل العجوز الذى يصعد فى سُلمها بصعوبة ، حاملًا حقيبة تحتوى على المواد الغذائية التى طلبها المختطفون ..

كان الرجل محنى الظهر ، يبدو الإرهاق على وجهه واضحًا برغم حمله غير الثقيل ، ولكن ذلك لم يمنع أحد المختطفين من تفتيشه بدقة وقسوة ، قبل أن يسمح له بحمل الحقيبة إلى داخل الطائرة ..

دخل الرجل العجوز بخطوات بطيئة إلى داخل

الطائرة وألقى نظرة على ركابها الذين يجلسون برعب على مقاعدهم ، وقد وقف أحد المختطفين مصوِّبًا إليهم مدفعًا رشاشًا ، على حين وقف زميل له فى آخر الطائرة مُمسكًا بمسدس ضخم ، وعلى شفتيه ابتسامة تلذُّذ بهذا الفزع الذى يملأ قلوب ركاب الطائرة ، وانتزع رجل ثالث الحقيبة بقسوة من يد العجوز ، وصاح مناديًا زميله الذى يحتل كابينة القيادة قائلًا :

ـــ لقد وصلت المواد الغذائية يا (بدر) .. وبقى أقل من ساعة على الموعد المحدد .

ثم دفع العجوز بقسوة ، وهو يقول :

ـــ انصرف أيها العجوز القذر ، قبل أن أفكِّر فى ضمك إلى الرهائن .

سقط العجوز على الأرض ، وتأوَّه بألم ، فأطلق الرجل الممسك بالمسدس ضحكة عالية ، وقال :

ـــ ما رأيك لو أنهينا آلامك برصاصة واحدة أيها العجوز ؟

ظهر الفزع على وجه العجوز ، وضمَّ كفَّيه أمام وجهه متوسِّلًا ، وقال بصوت أقرب إلى البكاء :

ـــ لا يا سيِّدى .. رحماك !! ما أنا إلا عجوز مسكين .. رحماك !!

أطلق الرجل ضحكة قوية متلذِّذة ، وهو يتأمَّل العجوز الذى اعتمد بساعده على مسند أحد المقاعد ، وأخذ ينهض بصعوبة ، ثم تأوَّه بألم وهو يمسك بقدمه قائلًا :

ـــ يا لكهولتى !! يبدو أن قدمى قد التوت .. رحماك يا سيِّدى !!

وخلع العجوز حذاءه من قدمه اليسرى ، بطريقة أثارت شفقة الركاب برغم ظروفهم القاسية .. فصاح به الرجل الممسك بالمسدس بقسوة :

ـــ ارتدِ حذاءك أيها العجوز القذر وإلا حطَّمت رأسـ ....

وفجأة اتسعت عيون الركاب دهشة ، وانطلقت

عدة صيحات فزعة من حناجر النساء ، عندما قذف العجوز حذاءه بحركة مفاجئة على الرجل الذى يمسك بالمسدس ، فأطاح به بعيدًا ، وصرخ المختطف وكأن الحذاء مصنوع من الصلب .

وقبل أن تخفت صيحات الفزع ، قفز العجوز برشاقة مذهلة ، وركل المدفع الرشاش الذى يمسك به أقرب المختطفين إليه ، ثم وجه إلى فكِّه لكمة قوية ، وغاصت ركبته فى معدة الرجل الآخر فى نفس اللحظة ، فأطلق صيحة تأوُّه عالية ، ثم سمع الركاب صوت تهشُّم فكِّه عندما أصابته قبضة العجوز ..

وقفز المختطف الرابع من كابينة القيادة ، مُشْهرًا مدفعه الرشاش ، ولكنه أطلق صيحة دهشة ، وفزع عندما جذبته قبضة قوية ، وشعر بجسده يدور فى الهواء ، ويرتطم بالأرض بقوة ، ثم تفجَّرت الدماء من أنفه إثر ركلة قوية من قدم العجوز ، الذى التقط أحد المدافع الرشاشة بخفة ، وصوَّبه إلى الرجل الأول ، الذى



.. قفز العجوز برشاقة مذهلة ، وركل المدفع الرشاش الذى يمسك به أقرب المختطفين إليه ..

كان يحاول الوصول إلى مسدسه ، ولكنه تخلّى عن الفكرة ، وصاح بفزع وهو يرفع ذراعه فوق رأسه :

ــ لا .. لا تطلق النار أيها العجوز .. إننى أستسلم .

ازداد ذهول الركاب ، وهم يتأمّلون هذا العجوز الذى يمسك المدفع الرشاش بقوة ، وقد انتصبت قامته المنحنية ، وبدا قويًا صُلبًا بجسده الممشوق ، وكتفيه العريضتين ، وسمع الجميع صوته وهو يقول بلهجة غلّفها رنين ساخر :

ــ فليطمئن الجميع .. لقد انتهى الكابوس .. الطائرة الآن تحت سيطرة المخابرات الحربية المصرية ..

ارتجت الطائرة من صيحات الفرح التى انطلقت من حناجر الركاب ، وقفز بعضهم يحتضن زوجته أو أبناءه من شدة السعادة ، فابتسم العجوز ، ومدَّ يده ينزع تنكُّره ، فانطلقت صيحات الدهشة حين وقعت أبصار الركاب على وجهه الوسيم الشاب ، وتملَّك أحدهم الحماس ، فصاح :

ــ تحيا المخابرات المصرية .

ردَّد الجميع هذا الهُتاف بحماس وسعادة ، على حين وضع الرجل الوسيم الأغلال فى أيدى المختطفين بهدوء ، واندفع رجال القوات المسلحة إلى داخل الطائرة ، ليصطحبوا المختطفين ، وليعاونوا الركاب على الهبوط من الطائرة ، بعد هذه التجربة القاسية ، وخرج قائد الطائرة ومعاونوه يصافحون الرجل بحرارة ، وتوقف قائد الطائرة لحظة يتأمَّل وجه الرجل ، ثم ابتسم ، وقال :

ــ إننى أعرفك أيها الرجل .. لقد حصلنا سويًا على شهادة الطيران .. أنت تدعى (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ بلى يا صديقى (ريمون) .. كيف حالك ؟

ومن داخل الطائرة أخذ أحد الركاب يتأمَّل (أدهم) ، ثم قال لنفسه :

ــ (أدهم صبرى) .. سأحفظ هذا الاسم جيدًا ، فنحن نحتاج إلى رجل مثله .. رجل قادر على تحقيق المستحيل .

* * *



٢ ــ المرأة الشيطان ..

طرق (أدهم) باب غرفة مكتب مدير المخابرات الحربية ، وانتظر حتى سمع صوت المدير يدعوه للدخول ، ثم دخل بهدوء وأدَّى التحية ، وقام إليه رجل قصير ممتلئ ، كان يجلس على مقعد أمام مكتب المدير ، فصافحه بحرارة ، وقال بلغة إسبانية :

ــ سنيور (أدهم صبرى) .. تسعدنى مقابلتك ، فمن النادر أن يقابل المرء رجلًا مثلك .

شدَّ (أدهم) على يد الرجل وقد بدا التساؤل فى عينيه ، فابتسم مدير المخابرات ، وقال وهو يشير إلى الرجل القصير :

ــ أعرفك بالسيد (چويس) يا (أدهم) .. لقد كان على متن الطائرة المختطفة التى تولّيت أمرها منذ ثلاثة أيام ، وهو ضابط فى المخابرات الإسبانية ،

وتستطيع أن تقول : إنه الرجل الثانى فيها ، ولقد حضر إلى مكتبى خصيصا من أجلك .

ضاقت حدقتا (أدهم) وهو ينظر إلى رئيسه بتساؤل ، فابتسم هذا وقال وهو يشير إلى السيد (چويس) :

ـ سيشرح لك السيد (چويس) الأمر بالتفصيل ، فأنت تجيد الأيطالية ، وهى قريبة جدًّا من اللغة الإسبانية .

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال وهو يبتسم :

ـ ولاحظ أن وزير الحربية قد وافق على قيامك بهذه المهمة ، توطيدًا للصداقة المصرية الأسبانية .

جلس (أدهم) على المقعد المواجه لـ (چويس) ، الذى أشعل سيجارة ، وقدم لـ (أدهم) واحدة ، ولكنه اعتذر مبتسمًا ، فأطفأ (چويس) قدّاحته ، ونفث دخان سيجارته ، وقال بالإسبانية :

ـ لقد بهرنى أسلوبك فى القبض على مختطفى الطائرة

يا سنيور (أدهم) ، وقررت فى تلك اللحظة أنك الرجل الذى سنحتاج إليه بالضبط للقضاء على مهرّبى الماس ، الذين يهددون الاقتصاد الإسبانى .

رفع (أدهم) حاجبيه دهشة ، وقال :

ـ ولكن يا سنيور (چويس) أليس هذا الأمر من اختصاص الشرطة الإسبانية ؟

هزَّ (چويس) رأسه بأسى ، وقال :

ـ لقد حاولنا كثيرًا يا سنيور (أدهم) ، حتى أن المخابرات الحربية قد تدخلت بنفسها ، ولكن هؤلاء المهرّبين أذكياء للغاية ، فهم يغيّرون الخطة فى كل مرة.. يغيّرون كل شىء ، وكلما ظننا أننا قد أطبقنا عليهم الفخ ، نجدهم يتسرَّبون من بين أصابعنا كالزئبق ، حتى أننا أطلقنا عليهم اسم (عصابة الزئبق) .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ حتى الزئبق يمكن القبض عليه بداخل وعاء محكم يا سنيور (چويس) .

عاد (چويس) يهز رأسه بأسى قائلًا :

ـ نعم يا سنيور (أدهم) .. نعم .. ولكن القانون يمنع القبض على أى إنسان دون وجود دليل إدانة قوى ، ونحن نعرف بالضبط اسم زعيمة هذه العصابة ، ولكننا لم ننجح فى الإيقاع بها طوال ثلاث سنوات كاملة .

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وقال :

ـ ألم تنجح المخابرات الإسبانية فى الإيقاع بامرأة طوال ثلاث سنوات ؟

ظهر بعض الضيق على وجه (چويس) وهو يقول :

ـ إنها امرأة تشريحيًّا فقط يا سنيور (أدهم) ، ولكنها تفوق أكثر الرجال شراسة وصلابة .. إنها أكثر صلابة من الماس الذى تقوم بتهريبه ، وهى تحمل عقلًا يفوق عقل (أينشتين) ، والأخطر من ذلك أنها تحمل لقب (بارونة) .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وابتسم قائلًا :

ـ بارونة ؟ لا بدَّ أنها تتحلّى بالماس من رأسها حتى أخمص قدميها .

قطَّب (چويس) حاجبيه ، وقال :

ـ اسمع يا سنيور (أدهم) .. يقولون فى بلادنا : « لا بد من الذئاب لمحاربة الذئاب » ؛ ولذا وقع اختيارى عليك لمجابهة هذه الشيطانة .. فهل أنت مستعد لذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ بالطبع يا سيِّدى .. لقد أسلت لعابى وأنت تصف هذه المرأة بالشيطانة ، ولكن ....

سأل (چويس) بلهفة :

ـ ولكن ماذا يا سنيور (أدهم) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ ولكننى سأصطحب زميلة لى .

أشاح (چويس) بذراعه قائلًا :

ـ لن يسألك أحد عمَّا تفعله يا سنيور (أدهم) .. المهم هو النتائج .

وما أن انصرف (أدهم) بعد قليل ، حتى

التفت (جويس) إلى مدير المخابرات ، وسأله :

ـــ هل تظن أنه سوف .... ؟

ابتسم مدير المخابرات بثقة ، وقال :

ـــ اعتبر الأمر منتهيًا يا سنيور (جويس) ، فلم نطلق على (أدهم صبرى) عبثًا لقب (رجل المستحيل) .

* * *



٣ ــ المعركة الأولى ..

تطلّعت (منى) من خلال نافذة المنزل الصغير، المطلة على شاطئ البحر المتوسط فى مدينة (أليكانتى) ، وتأمّلت مشهد شروق الشمس الجميل ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، وابتسمت وهى تتطلّع إلى وجهه الذى تحوّل بفعل مهارته الفائقة فى التنكّر إلى وجه أسمر البشرة ، مطلق اللحية ، مدبّب الشارب ، واختفت عيناه خلف منظار طبى صغير .

هزّت (منى) كتفيها تعجبًا من هذا التحوُّل العجيب ، وقالت :

ـــ يتملّكنى العجب دائمًا يا سيادة المقدم عندما أراك متنكّرًا ، حتى أننى أتساءل فى بعض الأحيان : كيف يبدو وجهك الحقيقى ؟

ابتسم (أدهم) ، وتناول سترته وهو يقول :

ـــ المهم أن يخدع تنكّرى هذا (دونا ماريا) يا عزيزتى .

ضحكت (منى) ، وقالت :

ـــ هذا التنكُّر قادر على خداع مدير مخابراتنا نفسه يا سيّدى .

تأكد (أدهم) من حشو مسدسه ، ثم دسَّه فى جيب معطفه ، وقال :

ـــ والآن هل لك أن تردّدى على مسامعى ما سبق أن أخبرتك به بشأن (دونا ماريا) ؟

قامت (منى) بحركة تدلُّ على الملل ، ثم قالت :

ـــ (دونا ماريا) هى بارونة إسبانية ، تبلغ من العمر سبعة وثلاثين عامًا ، وهى أرملة الزعيم السابق لعصابة الزنبق ، وترأس العصابة فى الوقت الحالى ، وتمتلك قصرًا منيعًا هنا فى (أليكانتى) ، يحيط به الحرس المسلح طوال الوقت .. كما تمتلك جريدة يومية ومصنع أحذية ، وعدّة شركات مختلفة التخصُّصات .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ وهى شيطانة لها نعومة الأفعى ، وخبث الثعلب ، وشراسة الذئب .

مطّت (منى) شفتيها ، وقالت :

ـــ إنك تثير الرجفة فى أوصالى بهذا الوصف يا سيّدى .

تجاهل (أدهم) العبارة ، وقال :

ـــ المهم أنها تخرج للتنزُّه ، بصحبة ثلاثة من الحراس الأشداء ، فى السابعة من صباح كل يوم ، وسنحاول الوصول إليها فى هذا الوقت ، فهذه هى الفرصة الوحيدة لمقابلة (دونا ماريا) .

ظهر شبح ابتسامة على وجه (منى) وهى تقول :

ـــ وماذا لو أن هذا لم يعجب حراسها الثلاثة ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال ببساطة :

ـــ سيكون هذا من سوء حظهم .

* * *

أسرع رجل ضخم يفتح بوابة القصر المعدنية ، ثم انحنى ليقبل أنامل (دونا ماريا) باحترام وتوقير ، وأسرع آخر يشعل سيجارتها ، التى تتعلّق فى مبسم طويل ، يستقر بين شفتيها ..

وبخطوات هادئة واثقة كخطوات ملكة عبرت (دونا ماريا) بوابة القصر ، وأخذت تسير بتمهُّل فى الطريق الطويل الممتد أمامها ، وخلفها ثلاثة رجال أشدّاء ، تدور عيونهم فى كل مكان ، وقد استقرت أيديهم خلف ستراتهم ممسكة بأسلحتهم المستعدة للإطلاق ..

وظل الأمر هادئًا حتى منحنى الطريق عندما توقفت (دونا ماريا) فجأة ، وظهر على وجهها الامتعاض .. كانت هناك سيارة صغيرة تسد الطريق ، وقد انحنى عليها شاب أسمر البشرة ممسكًا بآلة تصوير صغيرة ، وبجواره فتاة جميلة ، ترتكن باسترخاء على السيارة ..

ابتسم الشاب وهو يتطلّع إلى (دونا ماريا) ، وقال :

ـــ ربّاه .. يا له من جمال غجرىّ فتان !! هل تسمحين بالتقاط صورتك أيتها الأميرة الغجرية ؟

مطّت (دونا) شفتيها باشمئزاز ، على حين قال أحد حراسها بصوت أجش :

ـــ ابتعد بسيارتك عن الطريق أيها الرجل .

هزّ الشابُّ رأسه بعناد ، وقال :

ـــ ليس قبل أن ألتقط صورة لهذه الـ ....

قاطعه حارس آخر قائلًا بوعيد :

ـــ أفسح الطريق أيها الوغد ، قبل أن أحطِّم رأسك .

ضمَّ الشاب ساعديه أمام صدره ، وقال بتحدٍّ :

ـــ هكذا !! وكيف ستفعل ذلك أيها المغرور ؟

تدخّلت (منى) متظاهرة بالخوف ، وأمسكت بذراع (أدهم) ، وقالت :

ـــ دَعْنا نبتعد يا (خوليو) ، ولا داعى لإثارة المشاكل .



.. وكأن هذه العبارة تحمل تصريحًا للحراس ، فقد تحرّكوا فور سماعهم صوت (أدهم) ، وقد قفز الشر من عيونهم ..

أزاح (أدهم) يدها بهدوء ، وقال وهو يحدّق فى عيون الحراس الثلاثة بتحدٍّ :

ـــ لا يا عزيزتى .. لا بدَّ أن ألقّن هذا المغرور درسًا .

وهنا تكلمت (دونا ماريا) بصوت رقيق ، لا يتناسب مع شخصيتها القوية ، فقالت :

ـــ من الأفضل أن تستمع إلى رأى صديقتك أيها الرجل ، وإلّا أجهدتها بحمل أشلائك .

وكأن هذه العبارة تحمل تصريحًا للحراس ، فقد تحرّكوا فور سماعهم صوت (أدهم) ، وقد قفز الشر من عيونهم ..

تراجع (أدهم) خطوة إلى الوراء ، وقال وهو يمدّ ذراعه أمام وجهه :

ـــ لا .. هذا ليس عدلًا .. ثلاثة رجال ضدى .

وفجأةً خيِّل للرجال الثلاثة كأنَّ إعصارًا مدمِّرًا قد هبَّ فجأة ، أو أن بركانًا قد انفجر فى وجوههم

وبطونهم ، فقد تحركت قبضتا (أدهم) فى آن واحد ، وسمعت (دونا) صوت تهشم أسنان أحد حراسها ، مختلطًا بتأوه مؤلم ، وحشرجة خشنة ، من حنجرة الحارس الثانى ، وخيِّل للحارس الثالث أن السماء قد انقضّت على معدته فانتزعتها ، ثم ارتج جسده بقوة عندما ارتطمت قبضة حديدية بفكّه .

وقبل أن يزول ذهول الحراس الثلاثة شعر أحدهم بجسده يرتفع فى الهواء ، ثم يطير ويرتطم بزميليه ، وقبل أن يفقد الوعى سمع صوتًا ساخرًا يقول بلهجة تهكمية :

ــ ألم أقل لكم ؟ ليس من العدل أن يهاجمنى ثلاثة رجال .. فقط .

ولكن (أدهم) التفت فجأة ، عندما سمع صوت (دونا ماريا) الهادئ وهى تقول :

ــ هذا رائع أيها الرجل .. لقد تغلّبت على أقوى ثلاثة رجال فى إسبانيا بأكملها .

ضاقت حدقتا (أدهم) ، عندما رأى (دونا)

وهى تبتسم ابتسامة هادئة ، وقد أمسكت بمبسمها بأنامل يدها اليسرى ، وأمسكت فى يدها اليمنى بمسدس صغير تصوّبه إلى رأس (منى) ، وسمعها تقول بصوتها الرقيق :

ــ ولكنك لست أسرع من (دونا ماريا) أيها الرجل .. والآن ارفع ذراعيك فوق رأسك ، وإلّا حوّلت رأس صديقتك إلى مجموعة من الشظايا الصغيرة المختلطة بالدماء .

* * *





٤ ــ الأفعى والشيطان ..

جلست (دونا ماريا) على مقعد ضخم يشبه العرش الملكى ، فى نهاية بهوها الضخم ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وأسرع أحد رجالها يشعل سيجارتها ، ثم يبتعد إلى مكانه ، وهى تنفث الدخان فى الهواء ، وتتأمّل (أدهم) و (منى) .

وسرعان ما افترّ ثغرها عن ابتسامة مغرورة وهى تقول :

ــ إذن فأنت تُدعى (خوليو) أيها الرجل .. نفس اسم المغنى الشهير .. وصديقتك إنجليزية تدعى (إليزابيث) .. أما زلت مصرًّا على أنك تعمل مصوّرًا فوتوجرافيًّا ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال غير مبالٍ برجال (دونا) الذين يحيطون به :

رفعت (دونا) أحد حاجبيها الكثيفين ، وقالت :

ـــ وكيف يمتلك مصوِّر فوتوجرافى مثل هذه العضلات المفتولة ، ومثل هذا الأسلوب الرائع فى القتال ؟ إنك تهين ذكاء (دونا ماريا) أيها الرجل .. عملك هذا لا يقوم به إلا محترف .

ضحك (أدهم) ضحكة مملوءة بالتهكُّم ، وقال :

ـــ أليس من حق المصوِّرين ممارسة رياضة الكاراتيه ؟

ضحكت (دونا) ضحكة رقيقة غير مناسبة للموقف ، وقالت :

ـــ بلى ، ولكن هذا الأسلوب القتالى الذى استخدمته هو خليط من رياضات الجودو والكاراتيه والتايكوندو ، بالإضافة إلى سرعة استجابة لا تتوافر إلا لمحترف .. والآن ما الحقيقة أيها الرجل ؟

غطَّت (منى) وجهها بكفَّيها ، وتظاهرت بالانهيار وهى تقول بصوت باكٍ :

ـــ لا فائدة يا (خوليو) .. سأخبرها أنا بالحقيقة سأخبرها حتى ينتهى هذا الكابوس .

تظاهر (أدهم) بالتردُّد لحظة ، ثم قال بلهجة نجح فى أن يصبغها بالاستسلام :

ـــ حسنًا يا عزيزتى (إليزابيث) .. ولكن ....

صاحت (منى) متظاهرة بالغضب :

ـــ ولكن ماذا يا (خوليو) ؟ هل تخشى أن يبلغوا الشرطة ؟ ألست ترَى تلك الأسلحة التى يحملونها ؟

ضحكت (دونا) ، وقالت بهدوء وهى تنفث دخان سيجارتها :

ـــ استمع إليها يا (خوليو) .. صديقتك من الذكاء حتى أنها لاحظت أننا لسنا من النوع الذى يرغب فى تدخُّل الشرطة .

قطَّب (أدهم) حاجبيه ، وتلفَّت حوله يتأمَّل رجال (دونا) ، الذين يمسكون بالمدافع الرشاشة ، على استعداد لإطلاقها فى أية لحظة .. ثم ابتسم وواجه (دونا) قائلًا :

ـــ نعم أيتها الغجريَّة الفاتنة .. من الواضح أننا من نفس الفريق .

ثم نصب قامته ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وقال بصوت ساخر مخيف :

ـــ من العجيب أنكم لا تعرفون (خوليو) ، لص الخزائن الأوَّل فى إسبانيا .

قطَّبت (دونا) حاجبيها ، وضاقت حدقتاها ، على حين ظهر الشك واضحًا فى عيون رجالها ، وخيَّم الصمت التام ، إلى أن قطعه شاب وسيم قائلًا ، وهو يشير إلى (أدهم) :

ـــ أنت كاذب أيها الرجل .. لقد رأيت بالأمس صورة (خوليو) فى مركز الشرطة .. وأنت لا تشبهه على الإطلاق .

ضحك (أدهم) ضحكة مجلجلة مليئة بالتهكُّم والسخرية ، ثم قال :

ـــ وهل تظن أننى سأتجوَّل بحرية إذا ما حملت وجهى الحقيقى أيها الغبىّ ؟

وأعقب هذا بأن قذف بالمنظار الطبِّى بعيدًا ، وانتزع اللِّحية المستعارة ، والشارب المدبَّب ، وابتسم وهو ينظر إلى الدهشة التى تفجَّرت فى عينى (دونا) ، وعيون رجالها ، ثم قال :

ـــ والآن أريد لترًا من الماء العادى مخلوطًا بربع لتر من الكحول المركَّز ، لأزيل هذا اللون الأسمر من بشرتى .

* * *

نفثت (دونا) دخان سيجارتها ببرود ، وقالت محدِّثة الشاب الوسيم الذى يقف بجوارها :

ـــ لست أدرى سبب رفضك قرارى هذا يا (بدرو) ؟!

فرك الشاب كفَّيه بعصبية واضحة ، وقال :

ـــ ليس هذا! شعورى وحدى يا (دونا) .. إنه شعور الرجال جميعًا .. كيف تقررين بهذه السرعة ، انضمام لص الخزائن هذا إلى عصابتنا ؟ ماذا لو أن هذا الأمر مجرد خدعة ذكية ؟

ابتسمت (دونا) ، ورفعت أحد حاجبيها وهى تقول :

ــ لن يخدعنى رجل مهما بلغ ذكاؤه يا (بدرو) .

قطَّب (بدرو) حاجبيه بضيق ، وقال :

ــ وبم يفيدنا لص خزائن يا (دونا) ؟ إن عملنا لا يتصل بهذا من قريب أو بعيد .

أسندت (دونا) ذقنها على راحتها ، وقالت :

ــ هذا الرجل نادر الوجود يا (بدرو) .. إنه رجل بكل ما فى الكلمة من معان ، ومجرد وجوده ضمن أفراد عصابتنا يزيدها قوة .

عاد (بدرو) يفرك أصابعه بعصبية ، وهو يقول :

ــ (دونا) .. أنت تعلمين جيدًا أننى أهتم بك منذ فترة طويلة ، و ....

قاطعته (دونا) بضحكة ساخرة ، وقالت :

ــ هل تهتم بى حقًّا يا (بدرو) ؟ أم أنك تسعى لزعامة عصابة الزئبق ؟



.. قطَّب (بدرو) حاجبيه بضيق ، وقال : وبم يفيدنا لص خزائن يا (دونا) ؟ ..

انتفض (بدرو) كمن لدغته عقرب ، وصاح :

ــ هل تشكِّين فى إخلاصى يا (ماريا) ؟

قطَّبت (دونا) حاجبيها ، وقالت بقسوة :

ــ (دونا ماريا) أيها الوغد .. لا تنس أبدًا أننى زعيمتك ، وأننى أحمل لقب بارونة .. وإلا ذكَّرتك بهذا بطريقة لن تروق لك .

ارتعد جسد (بدرو) ، على حين أردفت (دونا) قائلة بنفس اللهجة القاسية :

ــ ثم إننى لا أسمح لأحد بمناقشة قرارى أو معارضته ، وسيعمل (خوليو) معنا برغم أنف الجميع .

ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة ماكرة وهى تقول :

ــ ولكن هذا لا يمنع من اختبار السنيور (خوليو) ، للتأكد من صدق روايته ، ومدى إخلاصه لـ (دونا ماريا) .. وويل له إن أخفق !

* * *

٥ ــ مفاجأة فوق اليخت ..

مالت (منى) على (أدهم) ، وهمست فى أذنه بصوت خافت :

ــ الخطة تسير على ما يرام حتى الآن يا سيادة المقدم .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا عزيزتى ، ولكنهم سيحاولون اختبارى أولًا .

سألته (منى) باهتمام :

ــ ومتى سيكون ذلك فى ظنك ؟

أجابها (أدهم) :

ــ قريبًا جدًّا يا عزيزتى ..

وجاءهما صوت (دونا) وهى تقول بخبث :

ــ هل قطعت حديثًا عاطفيًّا ، أم حوارًا عمليًّا ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ مرحبًا يا (دونا) .. إنك تتحركين بخفة النمر ، حتى أننى لم أنتبه إلى وصولك إلا حينما سمعت صوتك .

ابتسمت (دونا) بفخر وغرور ، ثم جلست على أقرب مقعد لها ، ووضعت ساقًا فوق الأخرى .. ثم وضعت سيجارة فى مبسمها ، وأمسكت به بين أسنانها ، وأشارت إلى (أدهم) قائلة :

ـــ أشعل هذه السيجارة يا (خوليو) .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وقال بتهكُّم :

ـــ آسف يا (دونا ماريا) ، لست أجيد هذا العمل ، يمكنك استدعاء أحد هؤلاء الخنازير من الخارج ليشعل سيجارتك ، ثم إننى لا أدخن ، ولا أحمل ثقابًا .

رفعت (دونا) حاجبيها دهشة ، ثم ابتسمت بخبث ، وقالت :

ـــ أنت أجرأ مما تصوَّرت يا سنيور (خوليو) .

ثم أشعلت سيجارتها بنفسها ، وقالت :

ـــ دَعْنا من هذا .. ستصل إلينا اليوم شحنة من الماس ، واردة من الكونغو رأسًا ، وستتولَّى أنت تسلمها يا (خوليو) ، وستقوم بنقلها إلى مخزن مصنع الأحذية الذى أملكه ، هل أنت مستعد لذلك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال ببساطة :

ـــ بالطبع يا (دونا) .. متى ؟ وأين ؟

ابتسمت (دونا) ابتسامة غامضة ، وقالت :

ـــ فى منتصف الليل تمامًا يا (خوليو) ، على الشاطئ المواجه للقصر .

رفعت (منى) حاجبيها دهشة ، على حين أطلق (أدهم) صفيرًا قصيرًا ، وابتسم قائلًا :

ـــ فكرة ذكية يا (دونا) .. لن يتصوَّر أحد أن تكونى بهذه الجرأة .. هذا بالفعل آخر مكان يبحث فيه رجال الشرطة .

ابتسمت (دونا) وهى تنفث دخان سيجارتها ، ثم قالت بخبث :

ـــ وبالمناسبة .. أنا أحتاج إلى مهارتك ، بشأن خزانة خاصة أمتلكها حديثًا ، ونسيت أرقامها السِّرية .. يمكننى الانتظار بالطبع حتى ترسل إلىَّ شركة الخزائن بالرقم السِّرى ، ولكننى أحتاج إلى بعض الوثائق من داخلها هذه الليلة ، قبل وصول شحنة الماس .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ دعينا نرها أولًا يا (دونا) .

وبعد دقائق كان (أدهم) يقف أمام خزانة صغيرة ، من النوع المثبت بداخل الحائط ، وبجواره وقفت (دونا ماريا) ، تدخن سيجارتها بتلذُّذ ، وتراقب ملامح (أدهم) بعمق ، على حين حاولت (منى) التظاهر بالهدوء والسيطرة على ارتجاف جسدها ، وهى تتأمل رجال (دونا) الذين يقفون بتحفز .. وبهدوء قال (أدهم) :

ـــ أعتقد أن هذا النوع من الخزائن يزوَّد عادة بجهاز إنذار دقيق يا (دونا) ، كما أن أرقامه السِّرية من النوع المعقَّد ، الذى ....

قاطعته (دونا) قائلة برقَّة :

ـــ هل تقصد أنك لا تستطيع فتحها يا (خوليو) ؟

ابتسم (أدهم) بسخريته المعهودة ، وقال :

ـــ لا بأس من المحاولة يا غجريتى الفاتنة .

واحتبست أنفاس (منى) ، عندما أخذ (أدهم) يتحسَّس الخزانة الصغيرة بأنامله ، ثم أمسك بحلقة الأرقام ، وألصق أذنه بالخزانة ، وأخذ يدير الحلقة بهدوء ..

نظرت (منى) إلى وجه (دونا) ، وأدهشتها تلك الابتسامة الرقيقة المرتسمة على شفتيها ، وسألت نفسها : كيف تمتلك امرأة لها مثل هذا الصوت الرقيق ، والابتسامة الحانية قلبًا من الصخر ؟ كيف تمتلك امرأة

بهذا الجمال كل هذه القسوة المتوحشة ..

وفجأة ارتجف قلب (منى) ، وكادت تقفز فرحًا ، عندما سمعت صوت تكة خافتة ، أعقبها صوت (أدهم) يقول ببساطة :

ــ ها هى ذى يا (دونا) .. لقد عطّلت عمل جهاز الإنذار .. لا تنسَي الأرقام مرة أخرى .

ابتسمت (دونا) ابتسامة رقيقة ، وقالت لـ (أدهم) :

ــ رائع يا (خوليو) .. أنت حقًا أبرع لص خزائن رأيته حتى الآن .. عليك بالاستعداد للذهاب ، فقد اقترب موعد وصول شحنة الماس .

* * *

عندما أعلنت الساعة منتصف الليل تمامًا ، أضاء مصباح صغير من وسط البحر ، وأجابه (أدهم) بإضاءة مصباحه ، وإطفائه مرتين متعاقبتين ، ثم التفت إلى أحد الرجال بقربه ، وقال :

ــ استقل الزورق .. سنذهب لإحضار الشحنة .

انطلق الزورق الذى يحمل (أدهم) ، ورجلين من رجال (دونا) نحو اليخت الذى يحمل الشحنة .. وما أن وصلوا إليه حتى قال (أدهم) للرجل الذى يقف فوق اليخت :

ــ مصباحك يبرق وسط البحر يا صاح .

أجابه الرجل بهدوء :

ــ ولكن ليس كبرق الماس يا صديقى .

كانت هذه العبارات المتبادلة هى كلمة السرّ ، كما أخبرته به (دونا) ؛ ولذا صعد (أدهم) فور سماعها إلى سطح اليخت ، وتبعه الرجلان .. وما أن استقر الجميع فوق السطح ، حتى أخرج قائد اليخت مسدسًا ضخمًا ، صوَّبه إلى (أدهم) ، وقال :

ــ لقد انكشف أمرك أيها الضابط ، ولن تفلت من يدنا أبدًا ، ولن تجد حتى الوقت الكافى لتندم على محاولتك خداع (دونا ماريا) .

* * *

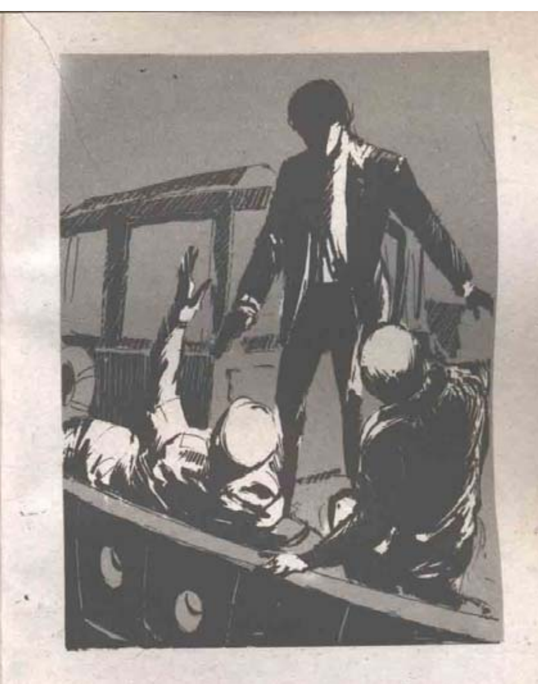


٦ ــ رسالة إلى إيطاليا ..

لم يكد الرجل ينهى عبارته ، حتى تحرّكت قدم (أدهم) كالمطرقة ، لتطيح بالمسدس الذى يمسك به ، ثم عادت إلى الوراء لتركل أحد الرجلين خلفه ، ثم دار على قدم واحدة كراقص الباليه ، وسدَّد لكمة قاسية إلى أنف الرجل الآخر بيمناه ، ثم قفز عاليًا ليتفادى قبضة رجل اليخت ، الذى اختل توازنه عندما طاشت قبضته ، ولكنه لم يسقط إلى الأمام كما توقع ، بل إلى الخلف بعد أن أصيب فكّه وأنفه بعدة لكمات قوية متتالية ، وعندما رفع رأسه وفتح عينيه ، كان (أدهم) يصوِّب إليه مسدسه ، ويقول بغضب :

ــ هل أصابكم الجنون ؟ أى خدعة هذه التى تتحدثون عنها ؟

نهض قائد اليخت مترنّحًا ، وحاول إيقاف النزيف



.. وعندما رفع رأسه وفتح عينيه ، كان (أدهم) يصوِّب إليه مسدسه ..

المنهمر من أنفه ، وقال وهو يشيح بذراعه غاضبًا :

ـــ إنها خطة (دونا ماريا) يا سنيور .. لقد حاولنا إيهامك أننا نعلم شيئًا ما ، حتى تعترف لو أنك أحد رجال الشرطة .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، ثم قذف بالمسدس إلى الرجل ، وقال :

ـــ يا لها من امرأة (دونا ماريا) هذه !! إنها أفعى ناعمة .. حسنًا .. دعنا من هذه الحماقات ، ولنعمل على نقل شحنة الماس .

* * *

ضحكت (دونا ماريا) ضحكتها الناعمة الرقيقة ، وقالت وهى تتأمَّل (أدهم) بإعجاب :

ـــ لا داعى للغضب يا عزيزى (خوليو) ، كان لا بد من هذا الاختبار قبل أن أسمح لك بنقل شحنة الماس .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـــ لم يغضبنى ذلك يا (دونا) ، ولكننى أخشى أن يفقد رجالك كلهم أسنانهم ، قبل أن أحصل على ثقتك الكاملة .

عادت (دونا) تضحك ، وقالت :

ـــ لم تعد هناك حاجة لذلك يا (خوليو) ، لقد حزت ثقتى وإعجابى .

وبعد قليل وفى غرفتهما ، سألت (منى) (أدهم) :

ـــ كيف توصَّلت إلى أن الأمر كله مجرد خدعة يا سيادة المقدم ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يسترخى بجسده فوق مقعد وثير :

ـــ لأنه من المستحيل أن تتوصَّل (دونا ماريا) إلى حقيقة أمرنا بهذه البساطة يا عزيزتى ، لأنها لابد أن تتوصَّل أولًا إلى أننا مصريَّان ، ولقد عجزت عن كشف أمرى برغم أننى أتحدث الإسبانية الصرفة ، وهذا هو

السبب الذى دعانى للقول إنك إنجليزية يا عزيزتى ، حتى لا يفضحك ضعف لغتك الإسبانية .

ابتسمت (منى) بخجل ، وقالت :

ـــ ما رأيك لو أننا أبلغنا الشرطة ، بوجود الماس المهرَّب فى مصنع الأحذية الذى تملكه (دونا) ؟ سيقتحمون المكان ، ويجدون الماس ، ويوقعون بها .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ إنك تبخسين (دونا ماريا) قدرها يا عزيزتى .. هذا ما تنتظره هى بالضبط .

ثم اعتدل ، وقال بجدِّية :

ـــ لو أن رجال الشرطة الإسبانية داهموا المصنع ، ما وجدوا سوى بعض القطع المستخدمة فى تزيين الأحذية .

قطَّبت (منى) حاجبيها ، وقالت :

ـــ هل تعنى أن ما نقلتموه الليلة ليس إلا ....؟

قاطعها (أدهم) قائلًا بتهكُّم :

— بالطبع يا عزيزتى .. اختبار جديد من (دونا ماريا) ، فلو أن الشرطة داهمت المصنع لأثبت هذا انتماءنا للأمن ، وفى نفس الوقت لا تخسر (دونا) شيئًا .. هل رأيت كم هى خبيثة هذه الأفعى الناعمة ؟

* * *

نفثت (دونا ماريا) دخان سيجارتها بغضب ، وقالت بلهجة قاسية ، وهى تنظر إلى (بدرو) :

— سبق أن طلبت منك عدم التدخُّل ، فيما أتخذه من قرارات يا (بدرو) .

ضرب (بدرو) راحته بقبضته اليمنى ، وقال بعصبية :

— هذا الرجل ليس إسبانيًّا يا (ماريا) .. فليقطع ذراعى إن لم يكن كذلك .. إنه يتحدث الإسبانية بلهجة أقرب إلى الإيطالية ، وهذا ما لا يفعله سوى أجنبى يا عزيزتى ..

قطَّبت (دونا) حاجبيها ، وجذبت نفسًا طويلًا من

سيجارتها ، ثم نفثت الدخان بعصبية ، وقالت :

— ربما كان من (برشلونة) يا (بدرو) ، إنهم يتحدثون هناك بلهجة تشبه الإيطالية .

هزَّ (بدرو) رأسه بقوة نفيًا ، وقال بنفس اللهجة العصبية :

— لا يا (ماريا) .. أنا نفسى من (برشلونة) ، ولكن هذا الرجل يتحدث بلهجة مختلفة .. صدقينى يا عزيزتى من المستحيل أن يكون هذا الرجل إسبانيًّا .

هزَّت (دونا) رأسها بضيق ، وقالت :

— سيكون هذا مؤسفًا يا (بدرو) ، فهذا الرجل من الطراز الذى يعجبنى .

رفع (بدرو) حاجبيه مندهشًا ، وصاح مستنكرًا :

— (ماريا) .. ماذا تقولين ؟

نظرت (دونا) فى عينيه بتحدٍّ ، وقالت :

— أقول : إننى لو قررت الزواج يومًا ما ، فلن أتزوَّج رجلاً مثلك يا (بدرو) .. بل رجلاً مثله .. رجلاً يثير الخوف فى نفسى لا العكس .

ثم تحوَّلت لهجتها إلى القسوة ، وهى تقول :

— ثم إننى سأقطع لسانك فى المرة القادمة إن لم تخاطبنى باسم (دونا ماريا) .

شحب وجه (بدرو) ، وعجز عن النطق ، على حين تابعت (دونا) قائلة بهدوء :

— وعمومًا .. سأرسل صورة (خوليو) إلى صديق لى فى إيطاليا .. صديق له وزنه هناك .. (دون مايكل) .. لا ريب أنك تعرفه .. إنه الأب الروحى لـ (المافيا) هناك .. وهو الشخص الوحيد الذى يستطيع إفادتى بحقيقة صديقنا (خوليو) ، لو أنه من أصل إيطالى .

* * *

٧ — انتقام الأفعى ..

وضعت (منى) يدها برقة على كتف (أدهم) ، وسألته بصوت خافت :

— هل هناك ما يشغل بالك يا سيِّدى ؟ إنك تتطلَّع من النافذة منذ أكثر من ساعة .

أجابها (أدهم) ، دون أن يستدير إليها :

— يبدو أنهم يستعدون للاحتفال بمناسبة ما أيتها الملازم .

اقتربت (منى) من النافذة ، وتأمَّلت رجال (دونا ماريا) ، الذين يتحركون بنشاط فى أرجاء حديقة القصر ، يعلِّقون الزينات والأضواء الملونة ، وبعضهم يقوم بنصب منصَّة صغيرة ، وتثبيت بعض مكبرات الصوت فوقها .. وسمعت (منى) (أدهم) يتمتم بلهجته الساخرة :

— أراهن أن الماس المهرب سيصل الليلة .

التفتت (منى) إليه ، وسألته بدهشة :

— كيف تجزم بذلك يا سيِّدى ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— مجرد تخمين يا صغيرتى ، فالحفل مكان مناسب جدًّا ، يضيع وسط بريق أضوائه بريق آلاف الماسات الثمينة .

وفى هذه اللحظة سمع الاثنان صوت طرقات رقيقة على باب الحجرة ، فقال (أدهم) بالإسبانية :

— يمكنك الدخول يا (دونا ماريا) .

دفعت (دونا) الباب ، ودخلت إلى الحجرة وهى تبتسم قائلة :

— لمحة جديدة من لمحات ذكائك يا سنيور (خوليو) .

ابتسم (أدهم) بتهكُّم ، وقال :

— لا أظن أحدًا من خنازيرك هؤلاء يستطيع طرق الباب بهذه الرِّقَّة يا (دونا) .

ضحكت (دونا) ضحكتها الرقيقة التى تثير الدهشة ، وقالت :

— أعتقد أنك لن تشاركنا حفل الليلة يا سنيور (خوليو) ، فسوف تذهب إلى البحر .. فى مهمة حقيقية هذه المرة .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

— لن أدعك تذهب وحدك هذه المرة يا (خوليو) .. سأرافقك حتى لو ذهبت إلى الجحيم .

ضحكت (دونا) نفس الضحكة الرقيقة ، وقالت :

— هذا العمل لا يناسب فتاة رقيقة مثلك يا عزيزتى (إليزابيث) .

نظرت إليها (منى) بتحدٍّ ، وقالت :

— وهل يناسب امرأة ناعمة مثلك يا (دونا ماريا) ؟

ضحكت (دونا) ، وقالت :

سنناقش هذا الأمر فى أثناء تناولنا الشاى فى الحديقة يا عزيزتى (إليزابيث) .

* * *

جلس (أدهم) و (منى) حول المائدة الصغيرة الأنيقة فى حديقة قصر (دونا ماريا) ، وبجوارهما جلست (دونا) و (بدرو) ، وكانت (دونا) تقول بابتسامة رقيقة :

— ما زلت أصرّ على أن هذا العمل لا يناسبك يا عزيزتى .. سيذهب (خوليو) وحده لتسلُّم الشحنة ، وستبقين هنا فى ضيافتى حتى يحضر .

قطَّب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— هل يعد هذا نوعًا من الضمان يا (دونا) ؟

ضحكت (دونا) ضحكتها الرقيقة ، وقالت :

— ليس بالضبط يا (خوليو) ، ولكن (إليزابيث) ستظل فى ضيافتى ، حتى يصل الماس إلى هنا .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— وهل ستحضرين الماس إلى قصرك يا (دونا) ؟

ابتسمت (دونا) ابتسامة خبيثة ، وقالت :

— لدقائق معدودة يا (خوليو) ، حيث يتسلمه السنيور (كيخوته) ، ليقوم بصقله وطرحه فى الأسواق .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— وسيتم كل هذا وسط الحفل الذى سيقام الليلة يا (دونا) ، أليس كذلك ؟

أطلقت (دونا) ضحكة ناعمة قصيرة ، وقالت :

— بلى ، يا عزيزى (خوليو) ، فهذا الحفل يقام بمناسبة تبرعى لإقامة مكتبة عامة فى (أليكانتى) ، وسيحضره الحاكم المحلّى ، ومدير الشرطة ، وكل الشخصيات الهامة فى المدينة .. هل هناك وقت أنسب من ذلك لنقل وتسليم حقيبة صغيرة تحتوى على عشرة كيلوجرامات من الماس الخام ؟

استند (أدهم) إلى ظهر مقعده ، وقال :

— يا لك من داهية يا (دونا) !! إنها خطة عبقرية بلا شك .

ضحكت (دونا) بفخر وغرور ، فى نفس اللحظة التى اقترب فيها أحد رجالها وهو يحمل هاتفا لاسلكيًا ، وقال :

ــ مكالمة هامة يا (دونا) وعاجلة .

تناولت (دونا ماريا) الهاتف بحركة رشيقة ، ووضعته على أذنها ، وسرعان ما ضاقت حدقتاها ، والتمعت عيناها الخضراوان ببريق شرس ، وتلاعبت فوق شفتيها ابتسامة متوحشة .. ورفعت (منى) حاجبيها دهشة ، فقد تحوّلت ملامح (دونا) الجميلة إلى وجه شيطانى مرعب ، وطفت طبيعتها القاسية ، لتغطّى ذلك القناع الرقيق الزائف ، حتى أن رعدة سرت فى جسد (منى) ، وتوجّست شرًّا .. ولكن وجه (دونا) استعاد بسرعة ملامحه الرقيقة ، وهى تناول الهاتف لرجلها ، وتعبث فى حقيبتها الصغيرة قائلة :

ــ معذرة .. لقد كانت هذه المكالمة مفاجأة غير متوقعة ..



.. تناولت (دونا ماريا) الهاتف بحركة رشيقة ووضعته على أذنها ، وسرعان ماضاقت حدقتاها ، والتمعت عيناها الخضراوان ببريق شرس ..

وبغتة شهَرَت مسدسها الصغير فى وجه (أدهم) و (منى) ، وقالت بقسوة شرسة :

ــ لقد داهم رجال الشرطة مصنعى الصغير يا سنيور (خوليو) .. لقد كشفت أمرك بهذه الخطوة الغبيَّة .

ارتجف جسد (منى) ، وتشبَّثت بذراع (أدهم) ، الذى قال بغضب واضح :

ــ وهل تظنين أننى أبلغت الشرطة يا (دونا) ؟ يا لك من حمقاء !! وهل أبلّغ الشرطة عن شحنة من أدوات الزينة ؟

ظهرت الدهشة على وجه (دونا) ، على حين قفز (بدرو) واقفًا ، وشهَر مسدسه فى وجه (أدهم) ، وصاح بشراسة :

ــ سأقتلك أيها الوغد الخائن من أجل ....

قاطعته (دونا) بلهجة حازمة ، وهى تشير إلى رجالها الذين شهروا أسلحتهم بالتريُّث ، وقالت :

ــ صه يا (بدرو) .. كيف علمت بأمر الشحنة يا (خوليو) ؟ كيف علمت أنها ليست ماسًا ؟

قال (أدهم) ، وهو يشيح بذراعه غاضبًا :

ــ وهل معرفة محتويات صندوق صغير من الكرتون ، أمر عسير على لص خزائن عبقرى مثلى يا (دونا) ؟

قطَّبت (دونا) حاجبيها ، وقالت وهى تداعب أنفها الصغير بأناملها :

ــ هذا صحيح .. ومن الطبيعى ألا تقوم بإبلاغ الشرطة فى هذه الحالة ، حتى لو كنت واحدًا منهم ، فهذا يثير الشك حولك .. ولكن الشرطة داهمت المصنع ولا بد أن أحدًا قد أخبرهم بالأمر .

قال (أدهم) ، وهو يرمق (بدرو) بنظرة نارية :

ــ نعم يا (دونا) .. لقد أخبرهم شخص يريد إبعادى عن طريقه .. شخص يثير وجودى حقده .

التفتت (دونا) إلى (بدرو) ، الذى شحب

وجهه عندما رأى ابتسامتها الرقيقة ، وصاح :

ـ (ماريا) .. لا يمكنك أن تشكّى فى أمرى !

ابتسمت (ماريا) ، وقالت بهدوء :

ـ ولِمَ لا يا عزيزى (بدرو) ؟ إنه أسلوبك التقليدى .. فأنت تعلم أن مداهمة الشرطة للمصنع لن تسفر عن نتائج سيئة ، ولكنها ستظهر (خوليو) بمظهر الخائن ، وستزيحه من طريق منافستك .. إنها خطة ذكية يا (بدرو) .. أهنئك .

فرّت الدماء من وجه (بدرو) ، وارتعدت فرائصه ، حتى أن مسدسه سقط من يده وهو يقول :

ـ لا .. يا (ماريا) .. لا .. لن تقتلينى من أجل ذلك .. إنما فعلته من أجلك .. حتى لا يخدعك هذا الخائن .

وبإشارة رقيقة من يد (دونا) أحاط رجالها بـ (بدرو) ، وقالت هى بهدوء :

ـ لن أقتلك يا عزيزى (بدرو) ، ولكننى حذرتك

من قبل أن تنادينى باسم (ماريا) مجردًا ..

ثم ضحكت ضحكة مرعبة ، وقالت :

ـ نعم يا عزيزى (بدرو) ، لن أقتلك ، ولكننى سأمنعك من التحدث مرة ثانية مع رجال الشرطة .. سأقطع لسانك الذى وشى بنا .. ومن المؤسف أنك لن تتمتع برؤية الألعاب النارية الملونة هذه الليلة ، فسأنتزع عينيك قبل ذلك ..

ضغط (أدهم) على أسنانه اشمئزازًا ، وارتعد جسد (منى) عندما أطلق (بدرو) صيحة رعب عالية ، متوسّلة .. على حين انطلقت (دونا) ، تضحك ضحكتها الرقيقة الناعمة .

* * *



٨ ـ شحنة الموت ..

تلألأت الأضواء فى حديقة قصر (دونا ماريا) ، وامتلأت برجال ونساء المجتمع فى (أليكانتى) ، وأخذت هى تنتقل بين المدعوين ، وهى توزع ابتسامتها الرقيقة ، وعباراتها المهذّبة على الجميع ، وأسرعت تصافح الحاكم المحلّى ومدير الشرطة .. وقدمت إليهما (منى) قائلة :

ـ السنيورة (إليزابيث) .. صديقة إنجليزية يا سيّدى الحاكم ، ويا سيّدى مدير الشرطة .. إنها تقيم هنا فى إجازة قصيرة .

صافح كل منهما (منى) باحترام ، وتمنيا لها قضاء إجازة سعيدة فى (أليكانتى) .. وفى نفس اللحظة صافحت (دونا) رجلًا قصيرًا ، يبدو المكر على ملامحه واضحًا ، وهى تقول :

— مرحبًا يا سنيور (كيخوته) ، كم أنا سعيدة لوجودك بيننا الليلة .

انحنى (كيخوته) يقبل أنامل (دونا) قائلًا :

— أمّا أنا فيسعدنى وجودك بجوارى دائمًا يا (دونا ماريا) .

وفى نفس اللحظة جاء أحد رجال (دونا) ، وهمس قائلًا :

— مكالمة من إيطاليا يا (دونا) .. (دون مايكل) شخصيًّا .

تنبّهت (منى) عندما وصل إلى سمعها اسم (دون مايكل) ، زعيم (المافيا) الشهير .. فاعتذرت برقّة من الحاكم المحلّى ومدير الشرطة ، وتبعت (دونا) خفية إلى داخل القصر .

أمسكت (دونا) بسماعة الهاتف ، وقالت بلهجتها الرقيقة :

— مرحبًا يا (دون) .. مضت فترة طويلة منذ استمعت إلى صوتك لآخر مرة .

قال (دون مايكل) باهتمام وقلق ، متجاهلًا عبارات المجاملة التقليدية :

— استمعى إلىَّ جيدًا يا (دونا ماريا) .. هذا الرجل الذى أرسلت صورته لا يدعى (خوليو) ، ولم يدع يومًا بهذا الاسم .

قطّبت (دونا) حاجبيها ، وقالت بقلق :

— من هو إذن يا (دون) ؟ هل يمثل خطرًا ؟

فجّر (دون مايكل) قنبلته قائلًا :

— إنه أخطر ما يمكن أن تتصوَّرى يا (دونا) .. هذا الشاب ليس إيطاليًا .. إنه مصرى .. ضابط مخابرات مصرى .. يسمونه هناك (أدهم صبرى) ، ولكننا نطلق عليه اسم الشيطان .

رفعت (دونا) حاجبيها دهشة وذهولًا ، وتمتمت بصوت خافت :

— يا للشيطان !! ضابط مخابرات مصرى ؟ وما شأن المخابرات المصرية بعملنا ؟

قال (دون مايكل) بقلق :

— لست أدرى يا (دونا) .. حقيقة لست أدرى .. ربما استعانت به المخابرات الإسبانية .. فهذا الرجل أكثر مهارة من الشياطين أنفسهم .. خُذِى حذرك يا (دونا) .

قالت (دونا) بغضب ، قبل أن تضع السماعة :

— حتى الشياطين لا يمكنهم هزيمة (دونا ماريا) يا (دون) .

ثم أشعلت سيجارتها بعصبية ، وهى تقول :

— إذن ، فصديقنا (خوليو) هو ضابط مخابرات مصرى متطفّل .. لا بد أن زميلته (إليزابيث) هذه هى الأخرى ....

وصاحت تنادى أحد رجالها ، الذى هرول باتجاهها ، فقالت بلهجة آمرة :

— أحضر تلك الفتاة الإنجليزية فى الحال إلى هنا .

ابتسم الرجل ، وقال :

— لقد قبضنا عليها بالفعل يا (دونا) ، فلقد أثارت شكوكنا ، عندما وجدناها تتبعك خفية .

ضحكت (دونا) ضحكتها الرقيقة المرعبة ، وقالت :

— حسنًا فعلتم .. دعوها مقيدة فى قبو القصر ، حتى ينتهى الحفل ، وسأجبرها على الاعتراف بكل ما حدث لها منذ ولادتها .. أما أنت فاتصل بقبطان اليخت ، وأخبره بهذه الرسالة التى سأمليها عليك .

ثم نفثت دخان سيجارتها ، وابتسمت بشراسة ، وهى تقول :

— ويل لك أيها الشيطان المصرى !! ستقابل اليوم من هو أكثر شراسة من مخابراتكم بأكملها .

* * *

تحرّك الزورق البخارى ، الذى يحمل (أدهم) وثلاثة من رجال (دونا) ، نحو اليخت الصغير الذى يقبع ساكنًا وسط مياه البحر ، وقال أحد الرجال وهو يشير إليه :

ـــ من هذا اليخت ستنطلق الألعاب النارية يا رفاق .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـــ ولن يتصوَّر أحد طبعًا أن هذه الألعاب النارية تخفى بضونها بريق الماس .

ضحك الرجال الثلاثة ، وقال أحدهم :

ـــ هذا يرجع إلى ذكاء (دونا ماريا) الجبار .. إنها عبقرية .

توقَّف الزورق البخارى بجوار اليخت ، وصاح (أدهم) قائلًا :

ـــ هل ستضىء هذه الألعاب النارية الليلة يا صاح ؟

أجابه صوت أجش من سطح اليخت قائلًا :

ـــ نعم يا صديقى .. سيكون لها بريق يخطف الأبصار .

ابتسم (أدهم) ، وأسرع يتسلَّق سُلَّم اليخت ، وهو يقول :

ـــ ولكنه ليس كبريق الماس .

وصافح الرجل الضخم الذى يقف على سطح اليخت ، وسأله :

ـــ هل أحضرتم الشحنة ؟

أشار الرجل إلى حقيبة صغيرة ، وقال :

ـــ ها هى ذى .. إن هذه الحقيبة تساوى ثروة .

تناول (أدهم) الحقيبة ، وقال مبتسمًا :

ـــ هذا ما يقولون عنه : « ما خف حمله وغلا ثمنه » يا صديقى .

وهنا اقترب أحد الرجال الثلاثة ، الذين يعملون على سطح اليخت من القبطان الضخم ، وناوله ورقة صغيرة قرأها بتمعُّن ، ثم ابتسم ابتسامة شرسة كشفت عن أسنان قذرة ، وقال للرجل وهو يتأمَّل وجه (أدهم)

ـــ حسنًا .. استعدوا لإطلاق الصاروخ النارى الأزرق ، الذى طلبته (الدونا) .

شعر (أدهم) بخطر ما ، عندما تراجع القبطان

الضخم ثلاث خطوات إلى الوراء ، وهو يقول مبتسما ابتسامة خبيثة :

ـــ تُرَى ، هل أعجبك أسلوبنا يا سنيور (خوليو) ؟

وفجأة شهَر القبطان مسدسًا ضخمًا فى وجه (أدهم) ، وقال بلهجة ساخرة :

ـــ أم أن أسلوب مخابراتكم يختلف يا سنيور (أدهم) ؟

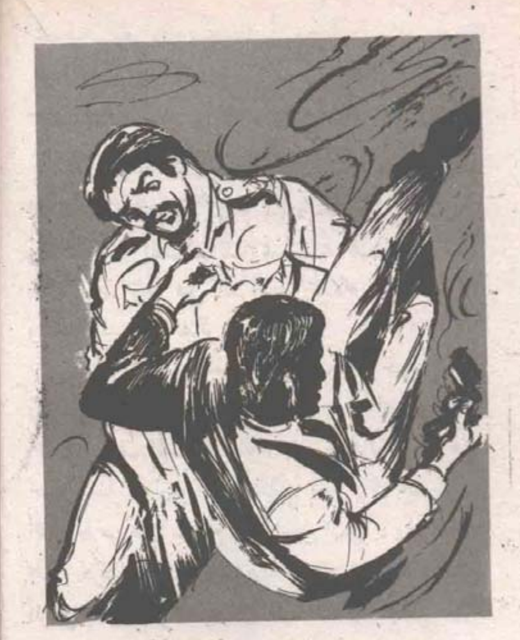
* * *



٩ ـــ بريق الخطر ..

كانت سرعة الاستجابة التى أبداها (أدهم) مذهلة للغاية ، فقد قفز إلى الأمام بمرونة تعجز عنها الفهود ، وركل المسدس الضخم الذى يمسك به القبطان ، ثم مال بجسده فى الهواء قبل أن تستقر قدماه على الأرض ، والتقط المسدس الطائر ..

وما أن لمست قدماه أرض اليخت حتى انثنت ركبتاه ، وغاص بجسده إلى أسفل ، وأطلق رصاصة أصابت كتف القبطان ، الذى صرخ متألمًا .. ثم دار حول نفسه ، ولكم أحد رجال (دونا) فى أنفه لكمة ألقت به من فوق سطح اليخت إلى البحر ، وفى الوقت نفسه تحرَّكت قدماه كالطاحونة لتستقر إحداهما فى بطن الرجل الثانى ، والأخرى فى فك الثالث ، وقفز جانبًا ليتحاشى رصاصة أطلقها أحد رجال اليخت الثلاثة ، ثم



.. ثم مال بجسده فى الهواء قبل أن تستقر قدماه على الأرض والتقط المسدس الطائر ..

أصاب قبضة الرجل برصاصة محكمة ، وألقى الرجلان الآخران مسدسيهما برعب ، ورفع كل منهما ذراعه فوق رأسه ، فاستند (أدهم) بظهره إلى سور اليخت ، وصوَّب مسدسه إلى الجميع ، وابتسم ساخرًا وهو يقول :

ــ هذا هو أسلوب مخابراتنا أيها الوغد .. تُرى هل أعجبك ؟

تمتم القبطان بعدَّة عبارات غاضبة غير مفهومة ، وهو يمسك بكتفه المصابة ، فأشار (أدهم) إلى أحد الرجلين ، اللذين بقيا دون إصابة فى المعركة ، وقال :

ــ تعال هنا أيها الوغد .. ستقوم بإرسال رسالة خاصة عبر جهاز اللاسلكى باليخت .

ثم قطَّب حاجبيه دون أن تفارق الابتسامة الساخرة شفتيه ، وقال :

ــ وبعدها سيكون لى شأن آخر مع (دونا ماريا) الرقيقة .

* * *

ابتسمت (دونا ماريا) ابتسامة انتصار ، عندما انطلق صاروخ نارى أزرق من فوق سطح اليخت ، لينفجر مضيئًا ظلمة السماء بضوء أزرق متناثر ، وهلَّل الحاضرون بالحفل إيذانًا ببدء الألعاب النارية ، التى توالت بشكل جميل جذَّاب ، تعلَّقت به الأبصار عدا (دونا ماريا) ، التى هزَّت رأسها بأسف ، وقالت بصوت غير مسموع :

ــ يا للخسارة !! ها قد انتهى أمرك يا سنيور (أدهم صبرى) .. ليتك ظللت (خوليو) .. فربما أصبحت يومًا زعيمًا لعصابة الزئبق .. كم كنت أتمنَّى رجلًا مثلك .

ثم تنهَّدت بأسف ، وعادت ابتسامتها إلى وجهها وهى تقول :

ــ تُرى ماذا ستفعل (إليزابيث) الرقيقة ، عندما تعلم بهذا الخبر المؤسف .

وفى قبو القصر اتسعت عينا (منى) فزعًا ، ثم

تفجَّرت فيهما الدموع ، وصاحت بألم :

ــ مستحيل .. لا يمكن أن ينتهى (أدهم) بهذه الطريقة .. مستحيل .

أطلقت (دونا) ضحكة رقيقة مخيفة ، وقالت :

ــ ليس هناك مستحيل أيتها المخادعة ، عندما تضع (دونا ماريا) أنفها فى الأمر .

ثم تحوَّلت لهجتها إلى الشراسة ، وهى تقول :

ــ مهما بلغ هذا الشيطان من الذكاء والشجاعة ، فلن يصل إلى نصف ما تملكه (دونا ماريا) .

وسرعان ما عادت إليها لهجتها الرقيقة الزائفة ، وقالت :

ــ معذرة يا فتاتى .. سأعود إليك بعد أن ينصرف ضيوف الحفل .. وسيدور بيننا حوار طريف .. حوار مميت .

وأطلقت ضحكة رقيقة وهى تغادر المكان .. وشاركها الرجلان اللذان يقومان بحراسة (منى) ، التى

أغلقت عينيها ، وارتعد جسدها من البكاء حزنًا على (أدهم) ..

لم تشعر بالخوف أو الرهبة من المصير الذى ينتظرها على يد (دونا ماريا) القاسية ، فقد استولى حزنها على (أدهم) على كل مشاعرها ، وتمنّت لو أنها لحقت به ، فلم يعد الموت أو العذاب يصيبها بأدنى قدر من الفزع ..

وفجأة احتبست الدموع فى عينيها ، ورقص قلبها فرحًا ، وكادت صيحة سعادة تفلت من بين شفتيها ، عندما سمعت صوتًا مألوفًا يقول بهدوء :

ــ سأصطحب هذه الجاسوسة إلى (دونا) ، فهى تطلبها .

فتحت (منى) عينيها بلهفة ، وبرغم الضوء الخافت فى القبو ، فقد ميِّزت بسهولة قامة (أدهم) المديدة ، وكتفيه العريضتين ، ورأت رجُلَىْ (دونا) وهما يتبادلان النظر ، قبل أن يقول أحدهما بلهجة جافة :

ــ ولكن (دونا) غادرت القبو لتوّها ، ولم تطلب ذلك بنفسها .

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال بهدوء :

ــ يمكنك أن توجّه إليها هذا السؤال .. إنما أنا أنفّذ أوامرها .

حدّق الرجل فى وجه (أدهم) ، محاولًا اختراق الظلام الذى يغلفه من ذلك الركن المظلم من القبو ، ثم سأله بشك :

ــ من أنت أيها الرجل ؟

قال (أدهم) بهدوء ، وهو يخرج من ذلك الركن المظلم :

ــ اسمى (صبرى) .. (أدهم صبرى) ، والبعض يلقبوننى بالشيطان .

تدلّى فك الرجل ببلاهة ، على حين أسرع زميله إلى مسدسه صائحًا :

ــ يا للشيطان !! إنه (خوليو) الخائن .

كان الأمر يشبه العاصفة ، وسمعت (منى) صوت عظام تتهشّم ، أعقبتها آهة مكتومة ، وصوت ارتطام جسمين ثقيلين بالأرض ، ثم رأت (أدهم) وهو ينفض كفّيه ، ويقترب منها بهدوء ، وهو يبتسم تلك الابتسامة الساخرة ويقول :

ــ لقد نسى هؤلاء الخنازير كيف يستخدمون قبضاتهم ، من كثرة ما أمسكوا بالأسلحة .

ثم انحنى يحل وثاقها وهو يقول :

ــ تُرَى ، هل راقت لك الإقامة فى قصر (دونا ماريا) يا زميلتى العزيزة ؟

صاحت (منى) بفرح عندما تحرَّرت يداها :

ــ لا تتصوَّر مدى سعادتى برؤيتك يا سيادة المقدم .. لقد أخبرتنى (دونا) أنها قتلتك .. كيف توصَّلت إلى وجودى هنا ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ مهلًا يا عزيزتى .. سأجيبك على تساؤلاتك

كلها .. يجب أن تعلمى أولًا أن (دونا ماريا) مقتنعة حتى الآن أنها قد تخلّصت منّى .. فلقد أطلق أحد رجال المخابرات الإسبانية الصاروخ الأزرق النارى ، الذى طلبت هى من رجال اليخت إطلاقه إذا ما نجحوا فى التخلّص منى .. ويجب أن تعلمى أيضًا أن رجال المخابرات الإسبانية ، يحتلون اليخت فى هذه اللحظة .

رفعت (منى) حاجبيها دهشة ، وقالت :

ــ ولكن هذا لا يوقع بـ (دونا) يا سيّدى ، فلن يعترف واحد من رجالها بتورُّطها ، ولن يمكن إثبات ذلك مطلقًا دون دليل .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ هذا صحيح يا عزيزتى ، ولكننى أعد مفاجأة لـ (دونا ماريا) .. مفاجأة مذهلة .

* * *

١٠ ـ الخدعة ..

ضحكت (دونا ماريا) ضحكتها الرقيقة ، وقالت لمدير الشرطة :

ـ من حسن حظ مدينة (أليكانتى) يا سيِّدى ، أنك ترأس شرطتها ، فليس من السهل وجود مدير كفء مثلك .

ابتسم مدير الشرطة بفخر ، وقال :

ـ ومن حسن الحظ أيضًا ، أن نحظى ببارونة جميلة مثلك يا (دونا) .

ضحكت (دونا) بخبث ، وقالت :

ـ نعم .. إن وجودنا سويًّا من حسن حظ (أليكانتى) يا سيِّدى .

وهنا همس رجل فى أذنها وسط زحام الحفل :

ـ لقد وصلت الشحنة يا (دونا) ، فى تلك

الحقيبة السوداء الصغيرة أمام المنصة .

التفتت (دونا) إلى مصدر الصوت ، ولكنها لم تجد أيًّا من الوجوه المألوفة لرجالها ، فتملَّكتها الدهشة ، ودارت بعينيها فى أنحاء الحديقة ، ثم قطَّبت حاجبيها ، وألقت نظرة مختلسة على الحقيبة ، ثم قالت لنفسها :

ـ لماذا أتى هؤلاء الأغبياء بالحقيبة إلى الحديقة ؟ إنها هنا أمام عيون الجميع .

ولكنها ابتسمت بخبث ، وقالت لنفسها :

ـ بل ربما كان هذا أفضل ، فوجود حقيبة وسط هذا العدد الضخم ، يجعل من المستحيل إثبات ملكيتها لأى منهم .

وبرقة اعتذرت من مدير الشرطة ، الذى قبَّل أناملها باحترام ، وأخذت تبحث فى الحفل عن (كيخوته) ، وهى تحرص على ألا تفارقها ابتسامتها الرقيقة طوال الوقت ، ولم تنس أن تلقى بعدة عبارات مجاملة رقيقة ، حتى وجدت (كيخوته) .. فقالت ببساطة وكأنها لم تقصد مقابلته :

ـ كيف تجد الحفل يا سنيور (كيخوته) ؟ هل هناك ما يمكننى عمله ؟

انحنى (كيخوته) يقبِّل أناملها ، قائلًا بمرح :

ـ إنه حفل رائع يا أميرتى ، لا ينقصه إلا بريق عينيك .

قال عبارته هذه وغمز بعينه بخبث ، فابتسمت (دونا) ، وهمست فى أذنه :

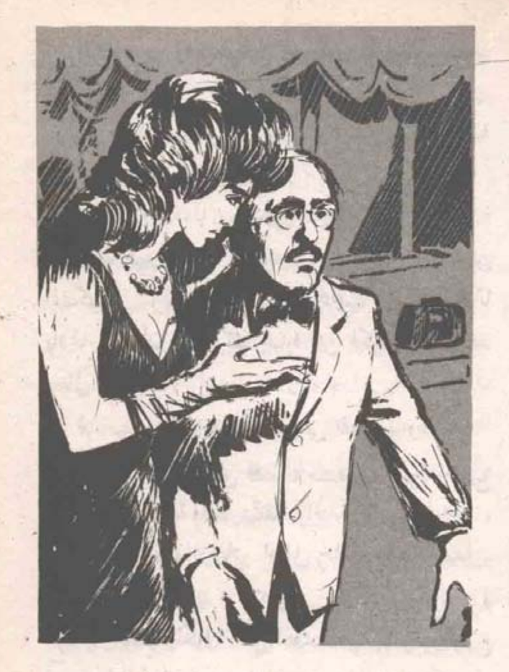
ـ لقد وصلت الشحنة ، وهى فى حقيبة سوداء صغيرة أمام المنصة مباشرة ، ولكننى أظن أن فى الأمر خدعة ما .

شحب وجه (كيخوته) ، وقال هامسًا :

ـ هل كشفوا الأمر يا (دونا) ؟

حافظت (دونا) على ابتسامتها الرقيقة ، وقالت بهدوء :

ـ لست أدرى يا (كيخوته) ،ولكن وجود الحقيبة هنا يثير الشك .



.. شحب وجه (كيخوته) ، وقال هامسًا : ـ هل كشفوا الأمر يا (دونا) ؟ ..

امتقع وجه (كيخوته) ، وحاول الابتسام بصعوبة وهو يقول :

ــ وماذا سنفعل يا (دونا) ؟ هل نترك الحقيبة هناك ؟

ابتسمت (دونا) بسخرية ، وقالت :

ــ بالطبع لا يا (كيخوته) .. ليس من أجل بعض الشكوك .. ولكننى أقسم أن أعاقب المسئول عقابًا رادعًا ، لو أن الأمر كله عبارة عن فكرة حمقاء لأحد رجالى .

ثم استعدت للانصراف ، وهى تقول بهدوء :

ــ بعد عشر دقائق فقط ، ستنصرف عيون الجميع بعيدًا عن الحقيبة لمدة دقيقة واحدة يا (كيخوته) ، وعليك أن تحملها وتغادر الحفل خلال هذه الدقيقة .

حاول (كيخوته) الاعتراض ، ولكن (دونا) لم تترك له الوقت الكافى ، بل ابتعدت بهدوء وهى توزع ابتساماتها الرقيقة على ضيوفها .. وسرعان ما انهمكت فى

فى حوار ضاحك مع الحاكم ، وكأن شيئًا لا يشغل عقلها .

* * *

انطلقت صرخة عالية من حنجرة إحدى النساء فى الحفل ، فالتفت إليها الجميع بذعر ، فوجدوها تشير إلى شرفة القصر السفلى ، وقد ارتسم على وجهها الخوف .. وأسرع بعض الرجال إلى الشرفة التى اشتعلت فيها النيران ، وتعلقت أنظار الباقين باللهب عدا (دونا ماريا) ، التى اختلست النظر إلى الحقيبة السوداء الصغيرة ، وابتسمت بخبث عندما حملها (كيخوته) ، وتحرك بسرعة وعصبية نحو باب القصر ..

استغرق الأمر دقيقة واحدة كما قدرت (دونا) تمامًا ، نجح الرجال بعدها فى إطفاء النيران التى انبعثت من دلو صغير مملوء بالقار ، كما نجح (كيخوته) فى التحرك بسيارته ، مبتعدًا عن القصر ، وتنهد بارتياح عندما غابت أضواء القصر خلف المنحنى الصخرى

القريب ، ثم أطلق ضحكة عالية وهو يحتضن حقيبة الماس ، وفى نفس اللحظة كانت (دونا) تقول لمدير الشرطة بدهشة مفتعلة :

ــ ولكن كيف وصل دلو مملوء بالقار إلى شرفة قصرى ، يا سيدى مدير الشرطة ؟

هز مدير الشرطة كتفيه بدهشة ، وقال :

ــ أوافقك أن هذا الأمر غير مفهوم يا (دونا) ، ويبدو أنها محاولة تخريب ، وسأقوم بالتحقيق فى ذلك فورًا .

ابتسمت (دونا) ابتسامتها الرقيقة ، وقالت وهى تربت على كتف مدير الشرطة :

ــ ليس الآن يا سيدى .. فلننس الأمر مؤقتًا ، ونتمتع سويًا بالحفل .

بادلها مدير الشرطة الابتسام ، وقال :

ــ كما تأمرين يا (دونا) .. لننس هذا الأمر ، ولكن مؤقتًا .

ضحكت (دونا) ضحكتها الرقيقة ، واستدارت تتحدث مع الحاكم .. وكان (كيخوته) قد وصل إلى منزله فى تلك اللحظة ، وأخذ يصعد فى سلمه بمرح ، وهو يدق بأصابعه على الحقيبة السوداء ، ويطلق من بين شفتيه لحنًا إسبانيا شهيرًا ، ثم توقف قليلًا ليدس مفتاحه فى ثقب باب منزله ، وأسرع يدخل إلى المنزل ، ويغلق الباب خلفه بإحكام ، وعاد يصفر اللحن الشهير وهو يشعل الضوء .

ولكنه ما أن التفت إلى الداخل حتى اتسعت حدقتاه رعبًا ، وسقطت الحقيبة من يده ، فقد واجهته ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقف بين رجلين من رجال المخابرات الإسبانية ، ويقول بلهجته التهكمية :

ــ جميل منك أن أحضرت دليل اتهامك بنفسك يا عزيزى (كيخوته) .. نحن ننتظرك منذ حديثك مع (دونا ماريا) .

* * *

١١ ـ البارونة القاتلة ..

كانت (دونا ماريا) تضحك بسعادة ، عندما اقترب منها أحد رجالها ، وهمس بقلق :

ــ هل لى فى محادثتك يا (دونا) ؟ الأمر خطير .

قطَّبت (دونا) حاجبيها ، وتحرَّكت بهدوء نحو المنصَّة ، وسألت رجلها بقلق :

ــ ماذا حدث ؟ ما الذى يقلقك إلى هذه الدرجة ؟

قال الرجل بتردُّد وهو يتلفَّت حوله بعصبية :

ــ لقد هربت الفتاة يا (دونا) .

حدَّقت (دونا) فى وجه الرجل بذهول ، فتابع قائلًا :

ــ والعجيب أنها هزمت رجلينا هزيمة نكراء ، حتى أن ....

قاطعته (دونا) قائلة بغيظ :

ــ هل أصابك الجنون يا رجل ؟ كيف تتغلَّب تلك الفتاة الهشَّة على رجلين كثورين ؟

وبعد دقائق قطَّبت (دونا) حاجبيها وهى تتأمل الرجلين ، وما أصابهما فى القبو ، وسألت أحدهما وكان قد أفاق :

ــ ماذا حدث ؟

قال الرجل بصوت ضعيف :

ــ إنه ذلك الشيطان (خوليو) يا (دونا) .. لقد هاجمنا فور انصرافك من القبو .

عجزت (دونا) عن النطق لحظة ، ثم قالت بغضب :

ــ لا بد أنكم قد أصبتم بالجنون جميعًا .. لقد قُتِل هذا الشيطان فى اليخت و ....

ثم توقَّفت فجأة ، وتمتمت بدهشة :

ــ ولكن هذه الإشارة المتفق عليها .. ربَّاه !!

والتفتت إلى أقرب الرجال إليها ، وصاحت :

ــ احجز لى مقعدًا على الطائرة التى ستغادر (مدريد) بعد ساعتين من الآن إلى إيطاليا ، ولتستعد طائرتى الخاصة لنقلى إلى العاصمة ، بعد نصف ساعة على الأكثر .

أسرع الرجل ينفِّذ أوامرها ، على حين قطَّبت هى حاجبيها ، وقالت بصوت خافت :

ــ يبدو أن هذا الشيطان أخطر بكثير مما تصوَّرت .. لقد كان (دون مايكل) محقًّا فى تحذيره .. ولكنه لن يوقع بـ (دونا ماريا) .. أبدًا .

* * *

تأمَّلت (منى) وجه (أدهم) ، بعد أن انتهى من تنكُّره ، وابتسمت بإعجاب وهى تقول :

ــ سأدفع نصف عمرى ، لو أن (دونا ماريا) تعرَّفت تنكُّرك المتقن هذا .

قال (أدهم) بجدِّية ، وهو يضع مسدسه فى جيب سترته :

— لست أستبعد ذلك يا (منى) ، فهذه المرأة تمتلك ذكاء يفوق ذكاء العلماء .

تبعته (منى) حتى استقل سيارته ، وقالت بضيق :

— هل ستذهب وحدك هذه المرة أيضًا ؟

ربَّت (أدهم) على يدها برقة ، وقال :

— أعدك ألا أذهب وحدى فى المرة القادمة يا عزيزتى .

ثم انطلق بالسيارة قبل أن يسمع تعليقها ، وقال لنفسه وهو يقترب من القصر :

— تُرَى .. من منا سيفوز فى هذه الجولة يا (دونا) .. الأفعى أم الشيطان ؟

كانت (دونا ماريا) تتحرَّك فى الحفل بعصبية ، ولكنها لم تتخلَّ عن ابتسامتها الرقيقة ، وإن ظلت تنظر فى ساعة يدها الماسية كل دقيقة تقريبًا ..

وفجأة تسمَّرت قدماها ، وجفَّ حلقها لحظة واحدة ، عادت بعدها إلى طبيعتها الباسمة ، واقتربت من

أحد رجالها ، وقالت بصوت خافت :

— هل تُرَى هذا الشاب الوسيم هناك ؟ ذلك الذى يرتدى حُلَّة سوداء لامعة الياقة .

ضاقت حدقتا الرجل وهو يدور بعينيه بين الحاضرين ، حتى وقع بصره على الشاب ، فقال :

— نعم يا (دونا) إذا كنت تقصدين ذلك الشاب الأشهب الشعر !

ابتسمت (دونا) بثقة ، وقالت :

— إنه (خوليو) .

رفع الرجل حاجبيه دهشة ، وقال :

— ولكنه لا يشبهه أبدًا يا (دونا) .

ضحكت (دونا) ضحكة عصبية قصيرة ، وقالت :

— إنه متنكِّر أيها الغبىّ .. متنكِّر ببراعة ، ولكنه لن يخدع (دونا ماريا) .

تردَّد الرجل قليلًا ، ثم قال :

— فى الواقع يا (دونا) .. لست أجد شبهًا مطلقًا ، سوى طول القامة وعرض المنكبين .

قطَّبت (دونا) حاجبيها ، وقالت :

— وأذناه أيها الغبىّ .. من الصعب أن يبدِّل الإنسان فى شكل أذنيه .. إنهما يشبهان بصمات الأصابع تمامًا ، حتى أن الشرطة الفرنسية ما زالت تستخدمهما لتعرُّف المجرمين حتى يومنا هذا .

ثم أردفت وهى تبتسم بخبث قائلة :

— ألم أقل لك : إنه لن يخدع (دونا ماريا) أبدًا .. فلنحوِّل هذا الحفل إلى حفل احتفال بمصرع هذا الشيطان .

كان (أدهم) يتحرَّك بهدوء وعيناه تتابعان (دونا ماريا) ، حتى أصبح ملاصقًا لها ، فارتطم بها متعمِّدًا ، وابتسم ابتسامة جذابة وهو ينحنى لالتقاط حقيبتها من الأرض ، وقال :

— عفوًا يا (دونا) .. لعل هذا الاصطدام غير

المقصود ، يكون فرصة لبدء تعارفنا .

ابتسمت (دونا) بخبث ، وقالت :

— ألم نتقابل سابقًا يا سنيور ؟.. يخيل إلىّ .....

قاطعها (أدهم) وهو يقول مبتسمًا :

— لا أظن أيتها الجميلة ، فهذه أول مرة ..

وتوقَّف (أدهم) عن الحديث بغتة ، عندما التصقت بظهره فوَّهة مسدس باردة ، وسمع صوتًا أجش يقول من خلفه ، بلهجة تهديد قاسية :

— تحرَّك معى بهدوء أيها الشيطان ، وإلا مزقت كبدك برصاصتين .

تملَّكت الدهشة (أدهم) لحظة ، ثم قال بلهجته الساخرة :

— ولماذا رصاصتان بالذات ؟ لم لا تجعلهما ثلاث أو أربع رصاصات ؟

ضحكت (دونا) ضحكتها الرقيقة ، وقالت بقسوة :

— من الخطأ محاولة خداع (دونا ماريا) أيها الرجل ، حتى لو كنتَ الشيطان نفسه ..

ثم نظرت إلى رجلها ، وقالت بهدوء :

— من حسن الحظ أن مسدسك مزوَّد بكاتم للصوت .. والآن .. أطلق النار .

* * *



١٢ — الجولة الأخيرة ..

من سوء حظ المجرمين فى كل بقاع العالم ، أنهم لا يقدرون ما يسمَّى عند علماء الطب النفسى باسم (سرعة الاستجابة للمؤثرات الخارجية) .. ولهذا يضيعون الوقت فى عبارات مسرحية ، وهذا مايساعد (أدهم) على إصابتهم بالدهشة ..

فلو أننا كنا ضيوفًا فى حفل (دونا ماريا) ، لاتسعت عيوننا دهشة ونحن نشاهد بغتة شابًّا وسيمًا ، يصاب بحالة من النشاط العدوانى المفاجئ .. فقد قفز جانبًا خطوة واحدة ، ثم تحرَّكت ذراعه بسرعة مذهلة ، ليستقر كوعه فى بطن الرجل الذى يقف خلفه ، ودار حول نفسه ، موجِّهًا لكمة نزلت كالصاعقة على فك الرجل ، حتى أن صوت تحطُّم أسنانه أدى إلى انطلاق صرخة من حناجر المضيفات .

ازدادت دهشة الجميع ، عندما اندفع رجال (دونا ماريا) بشراسة نحو (أدهم) ، فى نفس اللحظة التى تحرَّكت فيها (دونا) محاولة الابتعاد .. وتفجَّر الذهول فى عيون الضيوف عندما جذبها (أدهم) ، من شعرها الأسود الناعم الطويل ، وشدَّها نحوه وهو يقول بلهجة ، على الرغم مما فيها من سخرية ، إلَّا أنها أطلقت رجفة فى قلوب الجميع :

— إلى أين يا غجريَّتى الفاتنة ؟ ومن سينقذنى من خنازيرك إذن ؟

وفى تلك اللحظة لاحظ الجميع لأول مرة ، أن (أدهم) يمسك فى يده بمسدس مزوَّد بكاتم للصوت ، وتسمَّر رجال (دونا) عندما ألصق بهدوء فوَّهة المسدس بصدغ (دونا) ، وهو يبتسم تلك الابتسامة الساخرة .. وهنا تكلَّم مدير الشرطة ، فقال بغضب :

— إن ما تفعله منافٍ للقانون يا سنيور ، ويعرِّضك لعقوبة رادعة .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال بلهجة تهكُّمية لاذعة :

— وأين هو القانون طوال هذه الفترة يا مدير الشرطة ؟ هل حصل على إجازة ؟

احتقن وجه مدير الشرطة ، ولكنه قبل أن يخطو خطوة واحدة ، حدثت المفاجأة الثانية فى حفل (دونا ماريا) .. إذ تحرَّكت هى أيضًا بسرعة مذهلة ، فأطاحت بالمسدس الذى يلصقه (أدهم) بصدغها ، وقذفت بجسدها إلى الوراء ..

كانت المفاجأة من نصيب (أدهم) هذه المرة ، فلم يتوقَّع لحظة واحدة أن تكون (دونا) بمثل هذه السرعة والجرأة ، فسقط على ظهره وسقطت (دونا) فوقه ..

وفى لحظة واحدة كانت مسدسات رجالها مصوَّبة إلى رأسه ، وسمعها تقول بتحدٍّ وقسوة :

— أما زلت مصرًّا على أنك تستطيع هزيمة (دونا ماريا) أيها الشيطان ؟

شعر (أدهم) بالحنق والغيظ .. لم يكن ليتحمَّل أبدًا أن تهزمه امرأة ؛ ولهذا قفز واقفًا بحركة رشيقة ، غير مبالٍ بالمسدسات المصوَّبة إليه .. ولكنه توقَّف فجأة عندما سمع صوتًا يقول بهدوء :

ـ كفى يا سنيور (أدهم) ، ليس من حقِّك أن تفعل ذلك .

ابتسم (أدهم) بهدوء عندما سمع هذه العبارة ، التى قالها رجل وسيم ممتلئ بعض الشىء ، ظهر فجأة بين الضيوف ، وخلفه عدد كبير من رجال الشرطة الإسبانية .. فخفض رجال (دونا) أسلحتهم ، وقالت هى بهدوء وهى تلتقط حقيبتها الصغيرة التى سقطت من يد (أدهم) فى أثناء الصراع :

ـ كنت سأتقدم بشكوى أيها المفتش ، فقد اقتحم هذا الرجل حفلى ، وحاول اختطافى و ....

تجاهل المفتش هذه العبارة ، وقال مشيرًا إلى الحقيبة الصغيرة :

ـ هل هذه حقيبتك الشخصية يا (دونا) ؟

ابتسمت (دونا) برقَّة ، وقالت وهى تلقى خصلات شعرها المتنافرة خلف ظهرها :

ـ بالطبع أيها المفتش ، ولقد رآها الجميع معى منذ بداية الحفل .

أسرع بعض الحاضرين يؤكدون انتماء الحقيبة الصغيرة المزينة بالماس إلى (دونا ماريا) ، التى شكرتهم بعبارة رقيقة ، ولكن المفتش عاد يسألها بهدوء :

ـ هل تسمحين لى بتفتيشها يا (دونا) ؟

ضحكت (دونا) ضحكة عصبية قصيرة ، وقالت :

ـ ولكن لماذا يا سيِّدى المفتش ؟

مدَّ المفتش يده إلى (دونا) ، وقال بنفس البرود :

ـ لقد أبلغنا شخص ما أنك متورِّطة فى عمليات تهريب الماس إلى داخل البلاد ، وأنك تسلَّمت اليوم شحنة من الماس الخام .

صاح مدير الشرطة مستنكرًا :

ـ لقد تخطَّيت حدودك أيها المفتش ، كيف تجرؤ على اتهام (دونا ماريا) ؟

أمَّا (دونا) نفسها ، فقد حدقت فى وجه المفتش وهلة ، ثم نقلت بصرها إلى (أدهم) ، الذى ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقالت (دونا) بحنق :

ـ يا لى من غبيَّة !! كيف لم أتنبَّه إلى الخدعة بأكملها ، عندما ناداك المفتش باسم (أدهم) ؟

ثم قذفت بحقيبتها نحو المفتش ، وهى تقول :

ـ ها هى ذى .. يمكنك تفتيشها وقتما تشاء .

سقطت الحقيبة على أرض الحديقة ، فانفتحت وتناثرت منها قطع من الماس الخام ، تألَّقت ببريق أخَّاذ عندما انعكست عليها أضواء الحفل ، فشهقت النساء حسرة وإعجابًا ، على حين قفزت (دونا) بحركة بارعة مفاجئة ، وأحاطت عنق الحاكم بذراعها ، وصوَّبت مسدسها الصغير إلى رأسه ، قبل أن يتحرَّك أحد من

الحاضرين .. ثم ضحكت ضحكتها الرقيقة ، وقالت :

ـ ليس من السهل إلقاء القبض على (دونا ماريا) أيها المفتش .. حتى مع وجود دليل قوىّ .. سأغادر الحفل أمام أعينكم إلى إيطاليا ، حيث سأكون تحت رعاية (دون مايكل) شخصيًّا .. آه .. نسيت أن أقول : إن أى محاولة سيكون الحاكم ضحيتها .

قطَّب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

ـ لن يمكنك الهرب يا (دونا) .

ضحكت (دونا) ، وقالت وهى تتراجع ببطء إلى ساحة خالية ، معدَّة لهبوط الطائرات المروحيَّة .

ـ هل تراهن على ذلك أيها الشيطان ؟

وفى تلك اللحظة وصل إلى الجميع صوت طائرة مروحيَّة تقترب ، فقالت (دونا) وهى تضغط بشدة على عنق الحاكم الذى تأوَّه بألم :

ـ ما هى إلا لحظات وأغادر إسبانيا تمامًا أيها الشيطان .. لن تفخر أبدًا بأنك هزمت (دونا ماريا) .

هبطت (الهليكوبتر) فى المربع المخصص لهبوطها ، فاقتربت منها (دونا) بهدوء دون أن تتخلَّى عن ابتسامتها الرقيقة ، وفجأة دفعت الحاكم بعيدًا ، وقفزت داخل الطائرة التى ارتفعت بسرعة ..

وفوجئ الحاضرون جميعًا بـ (أدهم) يندفع كالقذيفة نحو الطائرة المروحيَّة ، متجاوزًا قوانين السرعة ، وعلم وظائف الأعضاء ، ويقسم البعض أنه قد حطَّم تمامًا قانون الجاذبية الأرضية ، عندما قفز ما يقارب الأمتار الثلاثة ليتعلَّق بالطائرة ، التى اختل توازنها بسبب هذا الثقل المفاجئ ، ولكنها استعادت توازنها بسرعة ، وانطلقت مبتعدة عن مكان الحفل الذى لن ينساه الحاضرون ما بقى لهم من العمر .

* * *

صاحت (دونا ماريا) فى قائد الطائرة بغضب :

ـــ انطلق بأقصى سرعة أيها الغبىّ .. فهذا الشيطان قد تعلَّق بالطائرة ، وسيطيح به تيار الهواء إذا ما انطلقنا بسرعة كبيرة .



.. وفجأة دفعت الحاكم بعيدًا ، وقفزت داخل الطائرة التى ارتفعت بسرعة ..

صاح الطيَّار وهو يضغط محوِّل السرعة فى الطائرة :

ـــ يبدو أنه يمتلك عضلات من الفولاذ يا (دونا) ، فهو يتشبَّث بالطائرة وكأنه قد التحم بها .

وفجأة اخترقت رصاصتان بطن الطائرة بدوىٍّ شديد ، فصاح الطيار برعب :

ـــ يا للشيطان !! إنه يطلق النار من أسفل .. سيصيبنا حتمًا لو استمر على ذلك .

ابتسمت (دونا) بشراسة ، وقالت وهى تصوِّب مسدسها إلى أرضية الطائرة :

ـــ لقد أوحى إلىَّ هذا الغبىّ بالفكرة .. سنجيبه بالمثل .

وقبل أن تنطلق رصاصة واحدة من مسدس (دونا) ، وصل إلى سمعها صوت طلق نارى ، وارتطام معادن بعضها ببعض ، ثم انحرفت الطائرة بشكل حاد أوقع المسدس من يدها ، فصاحت بغضب :

ـــ ماذا تفعل أيها الغبىّ ؟

صاح الطيار بذعر ، وهو يحاول السيطرة على الطائرة بلا فائدة :

ـــ لقد أصاب هذا الشيطان مروحة الطائرة الخلفية ، وتحطَّمت الدفَّة .

ثم أردف بلهجة يائسة مستسلمة :

ـــ لا فائدة يا (دونا) ، لن يمكننى التحكُّم فى اتجاه الطائرة أبدًا ، سنظل ندور حول أنفسنا حتى ينفد الوقود .

حدَّقت (دونا) فى وجه الطيار لحظة ، ثم صاحت بشراسة :

ـــ هل تعنى أن هذا الشيطان المصرى قد هزمنى ؟ لا .. إننى أفضل الموت .

ثم تناولت مسدسها ، وصوَّبته إلى الطيار الذى صاح برعب :

ـــ لا .. لا يا (دونا) .

أثار الطلق النارى المنبعث من داخل الطيارة دهشة (أدهم) ، وشعر بالطائرة تترنّح ، ثم تنقض كالنسر على سطح البحر ، فقفز منها ليغوص فى الماء ، قبل أن ترتطم الطائرة بالبحر بقوة ، وشعرت (دونا) بالصدمة ترجّ جسدها ، وشاهدت الماء يرتفع أمام زجاج النافذة الأمامية للطائرة ، وارتفع طنين شديد داخل رأسها ، ثم غابت عن الوعى ، واكتنف عقلها ضباب كثيف .

* * *

لم تدر (دونا) كم مرّ من الوقت ، ولكنها عندما فتحت عينيها وجدت (أدهم) منحنيًا فوقها ، وشعره يقطر الماء على وجهها ، وشعرت بجسدها يرتعد بردًا ، وسمعت (أدهم) يقول بلهجته الساخرة :

ـــ كان الندم سيقتلنى لو أصابك سوء ، يا غجريتى الفاتنة .

أزاحت (دونا) خصلة شعر مبتلّة من أمام عينيها ، وقالت :

ـــ لقد صدقوا عندما أطلقوا عليك لقب شيطان يا سنيور (أدهم) .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال وهو يناولها يده ليساعدها على النهوض :

ـــ صدقينى أيتها الأفعى ، لست أحب هذا اللقب الذى يشير إلى الشرّ .

ضحكت (دونا) ضحكتها الرقيقة ، وقالت وهى تنهض معتمدة على ذراعه :

ـــ جميل لقب الأفعى هذا أيها الشيطان .. ألا ترَى معى أننا ثنائى خطير .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ بالطبع أيتها الغجرية الجميلة ، ويا له من ثنائى .. الأفعى والشيطان !!

ابتسمت (دونا) ، وسألته بهدوء :

ـــ هل لك أن تخبرنى : لماذا أنقذت حياتى يا سنيور (أدهم) ؟

ضحك (أدهم) ، وقال بلهجة قاسية :

ـــ لأن مثلك لا ينبغى أن يموت هكذا كالفأر الغريق ، فى طائرة مغلقة يا (دونا ماريا) .. وسيسعدنى أن أقدمك للعدالة حتى تنال جزاءك عما اقترفته .. ولأسعد برؤية وجهك عندما تعلمين أنه ما من امرأة فى العالم يمكنها أن تهزم (أدهم صبرى) ، حتى لو كانت أفعى ناعمة مثلك .

احتقن وجه (دونا ماريا) ، وانساب الدمع لأول مرة فى حياتها من عينيها ، وهى تسير باستسلام أمام (أدهم صبرى) .

***



١٣ ـــ الختام ..

ابتسم مدير المخابرات المصرية ابتسامة عريضة ، وهو يطالع التقرير الذى وصل إليه من المخابرات الإسبانية ، ثم رفع رأسه مواجهًا (أدهم) و(منى) ، وقال :

ـــ لقد بُهرت المخابرات الأسبانية ببراعتك أيها المقدم ، ولقد منحك جلالة ملك إسبانيا وسام الشجاعة من الدرجة الأولى ، كما منح الملازم (منى توفيق) الوسام نفسه .. ولقد اتصل بى السنيور (چويس) لتوّه ، وأخذ يشيد بشجاعتكما .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، وأطرقت (منى) خجلًا وسعادة ، على حين استطرد مدير المخابرات وهو يضحك قائلًا :

ـــ ولعل أبرع مواقفك أيها المقدم ، كانت عندما دسست الماس الخام فى حقيبة (دونا ماريا) ، دون أن

تلاحظ هى أو رجالها ذلك .. لا ريب أن أبرع النشالين يحسدك على هذه المهارة .. والواقع أننى فى بعض الأحيان أحمد الله على أنك تعمل فى جانب الحق ، وإلا لصرت عدوًّا مرعبًا .

استمرت الابتسامة الهادئة على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ــ كل من يمتلك عقلًا ناضجًا ، لا بد أن يختار جانب الحق يا سيِّدى .

اعتدل مدير المخابرات فى مقعده ، وسأل (أدهم) باهتمام :

ــ ما رأيك فى شخصية (دونا ماريا) أيها المقدم ؟

استحوذ السؤال على انتباه (منى) ، فتطلَّعت إلى وجه (أدهم) بلهفة ، وأرهفت سمعها لتستوعب كل كلمة ينطق بها ، على حين انتصبت قامته ، وقال بجدِّية واهتمام :

ــ كان ينبغى توجيه هذا السؤال لطبيب نفسى يا سيِّدى ؛ لأن (دونا ماريا) هى مزيج من عدة

أمراض نفسية ، فهى نرجسية تعشق ذاتها ، وتؤمن بقوتها وذكائها إلى درجة الغرور ، كما أنها تعانى (البارانويا) أو عقدة الاضطهاد ، مع قليل من جنون العظمة .. ومن العجيب أنها تمتلك جمال نجمة سينمائية ، وقسوة سفاح مجنون و ....

ضحك مدير المخابرات ، وقال :

ــ كفى أيها المقدم ، وإلَّا غضب أطباء النفس من هذا التحليل الدقيق .

وبعد لحظات عندما اتخذ (أدهم) بصحبة (منى) ، طريقهما إلى خارج مبنى المخابرات الحربية ، تردَّدت (منى) قليلًا ، ثم سألته :

ــ تُرَى ، هل ما أخبرت به مدير المخابرات هو رأيك الحقيقى فى (دونا ماريا) يا سيِّدى ؟

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ سبق أن طلبت منك عدم مناداتى بكلمة سيِّدى ، إلا فى أثناء العمل يا (منى) .. ثم إن (دونا

ماريا) شخصية معقَّدة ، وهى أسوأ مما ذكرته للمدير بكثير .. إنها باختصار امرأة مستحيلة .

ضحكت (منى) ، وقالت بخبث وهى تتطلع إلى وجه (أدهم) :

ــ ربما كانت (دونا ماريا) امرأة مستحيلة ، ولكنها الآن وراء قضبان سجنها فى إسبانيا ، تتطلَّع فى كل يوم إلى غروب الشمس ، وهى تلعن ذلك اليوم الذى جرؤت فيه على تحدِّى ضابط مخابرات مصرى يعرف باسم (رجل المستحيل) .

* * *

(تمت بحمد الله)

صدر من هذه السلسلة
رجل المستحيل